شماره ۲۱۳

۳۴

انوار التوحید فی التوحید

للملا محمد النراقی

هو المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمدك حمداً يوافي رضاه ٭ ويكافي العظيم من برّه ونعماه ٭ ونشهد ان لا اله
الا الله ٭ توحيداً ينزهه عن جميع ما سواه ٭ اذ لا يحصى عليه ما اجراه ٭
ولا يحصيه ما احصاه ٭ احتجب بنوره في الافق الطامح ٭ والعز الشامخ
فما قربه وادناه ٭ وما ابعده واخفاه ٭ سبحانك لا نحصي ثناءً عليك
انت كما اثنيت على نفسك فوق ما نقول ونرضاه ٭ دلّ على ذاته بكلمته
فانتهت اليها معرفتنا اياه ٭ واقامها صفته حيث وصفناه ٭ ونفخ
بها اول من دعاه ٭ واجابه ولبّاه ٭ فعدّله وسوّاه ٭ وادبر فرده وناداه
فاختاره لنفسه واصطفاه ٭ وجعله بابه الاعظم ومظهر اسمه و
مبداه ٭ واخذ ميثاقه بما عداه ٭ وختم به حجته على خلقه الى يوم
يلقاه ٭ محمد وآله المهتدين بهداه ٭ الذين عرفوا الله على اشرف ما
يحتمله الامكان واجلاه ٭ واتمّه واعلاه ٭ وبعد فيقول الملتجي الى
باب ربه الباقي عبد الصاحب محمد بن احمد بن محمد مهدي النراقي اغاثه
الله يوم التلاقي ان هذه لباب علم التوحيد الذي هو اصل اصول
الدين واس اساس الشرع المبين حققتها ببراهين عقلية حقيقة

بالتصديق

٣

بالتصديق واتقنتها بشواهد نقلية هي عليها تنبيهات بالتحقيق ولا ا
قلّد فيها فنا دون فن ولا استغني من الحق بظن ولا كنت ممن نصب اماماً
فاتخذ الهه هواه واول كلام الله وحججه الى ما يراه وبهواه ولا
ابرء في المتكلفين ولا امعة في المتعصفين ولا كاشباه المتصوفين
او كاشياع المتفلسفين ولكن على امتثال ما امرني ربي وطاعة
ما ارشدني ولاة امري اتبع ما دلّني عليه قواطع البرهان وسواطع
البيان من اشارات القرآن وتلويحات امناء الرحمن واساطين
الايمان واتبع احسن القول حيثما اصبت لا ابالي من قال كما قال الملك
المتعال فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فان
اصبت فمن الله ولكل نفس طالبة قسط من نور الله ولكل قلب منكسر
حظ من سر الله فله على شكر وان اخطأت فمن نفسي وكل يعمل على شاكلته
فابرء منها الى الله وفقنا وعصمنا الله واخواننا من الركون الى زخارف
الآراء والاغترار بمخترعات الاهواء ووقانا من غشاوة الامراء
والانحراف عن المحجة البيضاء وايّاكم اخواني هداكم الله طريق الرشاد
ان تكونوا في دينكم مفرطين او مفرّطين فلا تبادروا بالانكار اسراعاً
فكنتم اعداء الحكمة ومرفضة العرفان واليقين وصرتم من زمرة قوم
انا وجدنا ابائنا ولا تغتروا بتموهات الالفاظ المصطلحة للمتجادلين

ومبتدعات الفلاسفة والمتكلمين وتسويلات اصحاب الخرقة واذواق
المتصوفين فتكونوا من الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه فان
كلها سبل الضلالة فلا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يا اخي دع
عنك زلات الخاطئين وهاجر بنفسك عن دار الحيرة الى مدينة علم
المؤمنين وأت البيوت من ابوابها واطلب الحقائق من اسبابها وصدق
قول مولانا امير المؤمنين ع ذهب من ذهب الى غيرنا الى عيون كدرة يفرغ بعضها
في بعض وذهب من ذهب الينا الى عيون صافية تجري بامر الله لا نفاد
لها لان اكلها دائم تؤتي اكلها كل حين باذن ربها واستشعروا الانصاف
واجتنبوا في امر الدين عن التعصب والاعتساف باذهان نقية وقلوب
صافية واسماع واعية فخير القلوب اصفاها وخير الاسماع اصغاها و
اوعاها قال الله تع لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير
فاقول متذكرا لذلك متبعا لخطاب الله مستدلا لكل مطلوب ببرهان
عقلي حقيق بالقبول وطريق سمعي من الكتاب او السنة واحاديث آل الرسول
وما لا سبيل للعقل الى الاستدلال عليه كاثبات الواجب وتوحيده استشهد
فيه بعد اقامة البرهان الذي هو دليل الحكمة باشارات نقلية وتنبيهات
مأثورة يشهد بها الطباع السليمة والاذواق المستقيمة من باب دليل الموعظة
الحسنة ورتبت مقالاتي على مقدمة في بيان بعض ما يتعلق بالوجود والمهية

وخمسة ابواب

وخمسة ابواب **الباب الاول** في اثبات وجود واجب الوجود لذاته **الباب**
الثاني في اثبات توحيده الالوهي بمعنى ان لا شريك له في الوجوب والغنى
عما سواه **الثالث** في اثبات توحيده الذاتي بمعنى ان لا تكثر في ذاته وبيان
ما يترتب عليه من سلوب الصفات وتنزيهه عما لا يليق به **الرابع** في
اثبات توحيده الصفاتي بمعنى ان له صفات ذاتية كمالية وهي باجمعها حقيقة
واحدة هي عين الذات وبيان ما يتعلق بذلك **الخامس** في اثبات توحيده
الافعالي وبيان خلاصة القول في افعال العباد وسميته هذا بانوار
التوحيد وافوض امري الى الله انه حميد مجيد وافتتح الكلام بذكر
فاتحة هي ان التوحيد وآثاره هو المقصد الاقصى والغاية القصوى
من خلق الانسان بل جميع الاكوان كما قال الله تع الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما ومنه تسمية النبي ص فيما روي عنه ص
سورة التوحيد بسورة الاساس بما عليه من اساس الدين بل اساس الوجود
كله لكونها بيانا للتوحيد ذاتا ووجوبا وفعلا الذي خلاصته ان لا متاصل
ولا مؤثر في الوجود الا الله حيث ساوى عن اسمه بلفظ هو الى تثبت الثابت
وغيبته عن الابصار والحواس كما فيما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلم
مضافا الى الاشارة بكونه ضميرا الى معروفيته بالآثار وعن تحديده بالحدود

اسم كتاب

والأوصاف بكونه هوية محضة لا يشاركها كيفية وحد وجهة وبقوله الله
الدال على الصفات والأسماء إلى كونه مستجمعا للصفات الكمالية المتوقفة
عليها الآثار والأفعال وبفعله بلا كيف هو الدال على الهوية الأحدية
إلى عينية الصفات للذات وبقوله تعالى أحد إلى عدم انثلام وحدته و
بساطته بالكثرات الصفاتية الدالة عليها لفظ الله وبقوله تعالى الله الصمد
إلى أنه باعتبار الأسماء والصفات هو السيد المطلق المصمود إليه الذي
يقصد إليه في جميع الحوائج ويفتقر إليه كل شيء فهو مؤثر في الوجود لا
سواه كما قال تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وبقوله تعالى لم يلد
الدال على أنه لم يخرج منه شيء ولا ينشعب عنه البدوات كالخطرة والوهم
والحزن والخوف والعزم والإرادة والهمة والتفكر والتروي ونحوها
لأن مصدريتها للأفعال المختلفة لإنجاح حوائج الطالبين لا تنبعث
عن جهات متكثرة وحيثيات متعددة في الذات على قياس الصفات على خلاف
المخلوقين فإن أفعالهم المختلفة تنشأ عن إرادات متكثرة وخواطر متعددة
متولدة عن أنفسهم وبقوله تعالى ولم يولد إلى أنه تعالى شأنه في كل ذلك من
الذات والأفعال متأصل بنفسه لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج
الأشياء الكثيفة من عناصرها كالدابة من الدابة والنبات من الأرض
والثمار من الأشجار ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر

من العين والسمع من الأذن والتميز من القلب والإرادة من النفس وبقوله تعالى
ولم يكن له كفوا أحد إلى أنه لا يشبهه ولا يماثله أحد في الوحدة الخالصة
والتأصل في الحقيقة واستقلال التأثير فكل ما هو في الوجود هو به ومنه وإليه
هذا ولنرجع إلى ما كنا فيه وهو أن الغرض من خلق الإنسان معرفة الله و
توحيده وجميع الأنبياء والأوصياء بعثوا لإظهاره ودعوة الخلق إليه كما
نطق به الحديث القدسي المشهور كنت كنزا مخفيا فخلقت الخلق لأن أعرف
وذلك لأن الحكيم لا يفعل العبث أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم
إلينا لا ترجعون فخلقه لا بد لمصلحة تعود إلى نفس المخلوق لغناه تعالى
ليس هي من لذات هذا العالم الكدر المظلم الخسيس والمنافع الدنيوية
الدنية التي لا يجهد في تحصيلها ذو عقل سديد وهمة نفيس لا هما مع
قصورها ونقصانها في نفسها الغير الصالح لكونه غاية لإيجاد هذا
الخلق العجيب بما فيه من دقائق الحكم التي تتحير فيها العقول والصنع البديع
الذي هو أنموذج العالم الكبير مشوبة بأنواع الآلام والأسقام الجسمانية
والروحانية والكدورات الظلمانية التي لا تنفك عنها في العادة كما هو
مشاهد بالعيان ومع ذلك فإنه قريب الزوال فليس هي إلا من جنس
اللذات الأخروية والابتهاجات العقلانية والحبوة الأبدية وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلا وهي لا تحصل إلا بالانتفاء عن حضيض النقصان

الى اوج الكمال والعرفان والانتقال من ظلمات البعد والحرمان الى نور القرب و
مجاورة الرحمن وهو الذي بعث الانبياء والاوصياء لاظهار كيفيته وخلاصهم
دعوتهم العباد لذلك ثلثة تعريف المصمود له بذاته وصفاته وافعاله وهو
معرفة المبدء وبيان الصراط المستقيم الموصل اليه وهو معرفة الطريق وبيان
الحال عند الوصول اليه وهو معرفة المعاد والاول هو بيان التوحيد
العلمي والثاني التوحيد العملي الذي هو تخليص العمل لله طاعة له وصرف
مجامع القلب اليه والثالث التوحيد الشهودي وهو لقاء الرب الذي هو
غاية مرتبة العرفان واقصى مدارج كمال الانسان ويشير الى ذلك كله قوله تع
فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
ويدل على ان الفوز بالجنان وحصول الكمال المقصود به خلق الانسان بالتوحيد
والسقوط الى الهاوية وظلمات البعد والشقاق بضده الشرك قوله تع إِنَّ اللَّهَ
لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وقوله تع وَمَن يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ
وقوله تع لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وهو خطاب الى اليهود والنصارى حصر فيه
شرف الكمال المعبر عنه بالبر بالايمان بالله ويوم العود اليه وقال مولانا
الصادق ع في معناه واسئلك بتوحيدك الذي فطرت عليه العقول اخذت

به المواثيق وارسلت به الرسل وانزلت به الكتب وجعلته اول فرائضك
ونهاية طاعتك فلم يقبل حسنة الا معه ولم يغفر سيئة الا بعده ومن اجل
فضائل التوحيد ان الكافر النجس الذي هو من اشباه الكلب والخنزير
لخسته ورذالته يصير به طاهرا باطنا وظاهرا ويتخلص من نار
الجحيم الى جنة النعيم ولو كان كفره سبعين سنة والمسلم الطاهر الذي
هو كالملك لشرفه وعزته يصير بتركه نجسا رجسا خبيثا ويدخل في زمرة
الكفار في درك النار ولو كان اسلامه سبعين سنة وما هذا الفضل
العظيم الا لشرف عظيم مكنون في سر التوحيد المنال له جعلنا الله تع من
اهله المطلعين على سره بمحمد وآله ص **المقدمة** وفيها فوائد ثلث
الفائدة الاولى في الاشارة الى معنى الوجود والماهية ومعنى تركب الموجود
منها الوجود في الاصل مصدر من وجد عن عدم فهو موجود وهذا معنى
فعلي حدثي وفي اصطلاح اهل العلوم بل في العرف الشائع بعد تلخيص
الآراء ورفض الاهواء يطلق على امر عيني به تحقق الشيء وتحصل
احكامه وصدرت عنه آثاره وصار به موجودا اصيلا وفي الخارج و
في نفس الامر ثابتا واحدا في نفسه هذا الامر الخارج عن فرض الفارض
وذهن الذاهن والماهية اصلها نسبة الى ما به الشيء هو هو وفي الاصطلاح
المعنى المفهوم من الاشياء الذي يوصف بالوجود والعدم وينالها كمعنى

كالانسان والفرس وفي اصطلاح اعم يطلق على تمام حقيقة الشيء كانه ما كان
فيعم الواجب والممكن اذ لا شيء الا وهو بنفس حقيقته شيء ما وهذا
من الاعيان الموجودة لا شك انه ليس محض المهية والا لصدق على المفهوم
الذهني وصح منه انفعال الروائح ولا هو محض الوجود والا لما تغايرت
الموجودات ولا هو مركب منهما تركبا حقيقيا اذ هو فرع تساويهما في الاستقلال
الذاتي وتساوقهما في نسبة الجزئية المستلزم لتفرد كل منهما في كونه بحسب
حقيقته مع قطع النظر عن الآخر مع ان المهية بما هي في نفسها مع قطع النظر
عن الوجود ليست شيئا فلا يتركب منها الموجود وبما هي موجودة نفس الكل
لا جزءه وكذا الوجود بما هو في نفسه مع قطع النظر عن المهية ليس وجود المهية
وبما هو مضاف اليها عين الموجود وايضا لو تركب الموجود منهما وكل منهما مشترك
بينه وبين ما يماثله من صنفه من الموجودات لزم صدق المركب على ما يشاركه
في الجزئين مع ان كل موجود يباين غيره بوجوده وان فرض اشتراكهما في جميع
الخصوصيات اذ لا اتحاد اخص من الوجود بل التحقيق ان الموجود امر واحد
محدود لا تركب فيه حقيقة وانما هو ذو وجهين في لحاظ العقل بمعنى ان العقل
ينتزع منه مفهومين متغايرين احدهما المهية والآخر الوجود والوجود
بهذا اللحاظ مفهوم عام بديهي انتزاعي يشترك فيه سائر الموجودات وهذا
اطلاق ثالث للوجود وهو بهذا المعنى من معقولات المفاهيم ليس حقيقة عينية

ذات انا

ذات انا بل بمجرد نسبة وانتزاع كمفهوم صانع العالم فانه ليس صانع العالم بل الذات
التي ينتزع منها فكذا مفهوم الوجود وشيئية الاشياء ليس الا اشتراك في اللفظ
نسبة لا في العبارة فقط لا في الحقيقة نعم لما توقف الانتزاع على وجود
المنتزع منه في الخارج لا بمجرد الفرض فلا بد من تعدد الجهة فيه لامتناع
انتزاع المختلفين من شيء واحد بجهة واحدة ومما ذكرناه يظهر ان ما
يقع في تحقيق القول بان الوجود مشترك اللفظ في الاشياء جميعا وان
وجود كل شيء انما هو نفسه ورديفا اسمه على معناه بان الاشياء وان
تكثرت كل التكثر ولكنها تشترك جميعا في معنى واحد هو حابه الاشياء حقيقة
متفوقة وهو المعنى بالوجود ليس في محله لما سمعت من عدم اشتراك الاشياء
في الوجود العيني الخارجي بل حقيقة وجود كل شيء متقوم باضافته اليه
بشخصه نعم تشترك في مفهوم الوجود لا في تشخصه والا لما تباينت
الاشخاص الموجوده على فرض اتحاد مهياتها وحدودها ولم يمكن توجيه
تكثرها الا على القول بوحدة الوجود وموهومية الكثرات التي
ستنبه على فسادها نعم لعادليه بالاشتراك اللفظي الاشتراك الوضعي
فهو سقط من القول فان التباين في الشخص لا يستلزم التباين في
المفهوم ومناط الاوضاع الكلية على المفاهيم الذهنية دون الاعيان
الخارجية فلا يستقيم جعله رديف الاعلام **الفايدة الثانية** المفهوم

هو المستعان

6

واعني به ما يعم الحقيقي والفرضي اذا تصور في العقل فان وجب بنفسه فهو
واجب الوجود وان امتنع وجوده كل فممتنع بذاته وان جاز ان يكون موجودا
او معدوما جميعا فممكن بذاته ثم ان الواجب الوجود يجب ان يكون
محض الوجود الخالص وان لم يعلم حقيقته ما هي ولم يمكن تصوره والممتنع
محض العدم والممكن المهية بما هي في نفس معناها اما الاول فلانه
لو كان له هوية غير نفس حقيقة الوجود فالمقتضي لوجوده اما تلك الهوية
مع قطع النظر عن الوجود او وجوده مع قطع النظر عن الهوية او هما معا
والكل باطل اما الاول فلانها بنفس معناها مع عدم تصورها
في الذهن ليس بمحض فكيف يقتضي الوجود ومعه من مقولة المفاهيم التي
هي اشباح الفاظ عارية عن الارواح فلا يقتضي التاصيل ضرورة ان مجرد
تصور الشيء لا يفيد الذات ولا يحقق الحقيقة مع انها بهذا الوجود
الذهني ممكنة بذاتها لجواز عدم تصورها فكانت لا شيء فكيف يؤثر في
الوجود العيني واما الثاني فلان الوجود لو استلزم تلك الهوية
الخاصة لزم انحصار الوجود فيهما وبطلانه بديهي واما الثالث
فلاستلزامه ما يلزم الاول من الحكم فان الجزء مقدم على الكل واما فالمهية
التي هي جزء المقتضي للوجود ان كانت بما هي موجودة لزم الدور وربما
ليست بموجودة فعدم لا يؤثر في الوجود فيجب ان يكون حقيقة الممتنع نفي

واما الثاني فيعلم وجهه فيما بين ان الالفاظ بلا ارواح كرف الوجود

معنى العدم

هو

معنى العدم وصرف مفهوم السلب والالفاظ المستعملة في مفهومات ثبوتية
مسماة بالمستعار انما هي قوالب لفظية ليس تحتها الا الهواء فاختلفتها اوهام
فرضية واخترعت لها مسميات وهمية حتى انها ليست لها معان ذهنية
والا كانت ممكنة كلفظ شريك الباري مثلا فانه لو كان له معنى بنفسه وجب
ان يكون نفس حقيقة الوجود حتى كان شريك الذات لما لا حقيقة له الا ذلك
فيكون هو الباري لا شريكه فلا معنى لشريكه ذهنا ولا خارجا وكذا اجتماع
النقيضين فان مفهوم الاجتماع اذا اضيف الى النقيضين ليس له معنى في
الذهن اذ الاجتماع نسبة لا يحصل الا بالطرفين والنقيضان ليسا الا مفترقين
فكيف يتصور الجمع بينهما في الذهن حتى كان هو مفهومه واني يستطاع ذلك
وهكذا نظائرها واما الثالث فلانه معنى غير نفس الوجود والعدم
فيكون قابلا لهما من غير لزوم ذاتي ولا اعني بذلك كونه امرا ثابتا ثالث
الوجود والعدم على ما زعمه المعتزلة بل يعني انه بنفس معناه غيرهما ولكن لا
يعرى عنهما معا خارجا وذهنا وعند عدم اقترانه بالوجوب لا ذات له
ولا ثبوت وانما يتذوت بالوجود على معنى زائد عليه متقوم به في العقل
ح ملاحظته مع قطع النظر عن الوجود وان كان قوامه بالوجود الفائدة
الثالثة الممكن يستحيل ان يترجح بنفسه من غير مرجح احد طرفيه وهو
من اول الفطريات ومعتقد وفاق ارباب العقول لان التساوي كونهما في

درجة واحدة من الامر الذي نسبتا اليه والرجحان هو القرب منه فلو رجح
المساوي بنفسه ناقض نفسه ومن هذا كان ترجح المرجوح اولى بالاستحالة
وكذا يمتنع ترجح احد طرفي الممكن باولوية دون الوجوب اذ لو امكن معها
خلافه لزم امكان ترجح المرجوح وان امتنع كانت الاولوية وجوبا وترجح
من هذا ان عدم المرجح مرجح العدم اذ الوجود امر زايد على ذاته يحتاج الى
سبب وجودي يصلح علة للوجود دون العدم ثم ان العلة المرجحة
للوجود وجب ان تكون واجبة بذاتها او منتهية الى الواجب فاستحال
التداير والتسلسل لان حاجة الممكن الى العلة انما هي بكونه ممكنا وفرعا
من غير مدخل خصوص واحد دون آخر في ذلك فحكم الفرع الممكن ولو كان غير
متناه حكم فرع واحد حتى لو نقض جميع الخصوصيات واخذ طبيعة الفرع
بما هو فرع فقط كانت الحاجة بعينها باقية فلو تدايرت او تسلسلت
الممكنات لزم ثبوت الفرع بدون الاصل والمعلول بدون علة لا واجبة
على الفرض ولا غيرها اذ لا وجود لواحد من الجملة الا بنفس انه معلول وفرع
فلا يبقى بعد رفض الزوايد الا موجود واحد معلول وبالجملة السلسلة
ولو كانت غير متناهية مؤلفة من الوحدات فاذا فرض وصف لكل واحد
ككونه جسما مثلا صدق هذا الوصف على الكل والمفروض ان كل واحد
موصوف بكونه ممكنا ومعلولا ومتفرعا على غيره فيصدق ذلك ايضا على الجميع بحيث

هو المستعان

لا يرجح منه واحد فيلزم وجود الممكن بدون المرجح والمعلول بدون العلة والفرع
بدون الاصل **فان قلت** اشتراك الكل في المعلولية والامكان لا يستلزم
وجود ممكن بلا علة لان فرض عدم تناهيه يأبى عن فرض وجود ممكن كذلك
قلت نعم يأباه ولكن صدقها يعين القضيتين المتنافيتين اللازمتين
لوجود غير المتناهي يشهد ببطلان اصل الملزوم وامتناع وجود غير المتناهي **الباب
الاول** في اثبات وجود واجب لذاته غني عما سواه مبدأ للعالم أفي الله
شك فاطر السموات والارض ونستدل عليه اولا ببرهان عقلي هو دليل
الحكمة ثم نتبعه ببيان ما هو من باب دليل الموعظة الحسنة يوجب الاطمينان
والعلم عادة لمن القى السمع وهو شهيد من شواهد نقلية وتقريبات وجدانية
اشار اليها في القرآن المجيد وبعض ما نبه عليه ائمتنا الذين هم هداة الخلق
وابواب التوحيد **نور** اما البرهان القطعي على وجود الواجب فهو
انا نرى في الوجود اشياء كثيرة من جليل وحقير وعال وسافل ومحسوس و
معقول فان كان في سلسلة الموجودات واجب لذاته فهو المط والا يجب ان
ينتهي اليه بحكم الفائدة الثالثة فلا مصير الا اليه ان الى ربك المنتهى ثم
نقول لمزيد البصيرة ليس الواجب من جنس تلك الموجودات المحدودة محسوسة
كانت او معقولة لما تعرف في الثانية ان الواجب بالذات وجب ان يكون صرف
الوجود ولا هوية لسواه فليس كمثله شيء وهو السميع العليم **نور** واما

الشواهد التي هي آيات بينات لاثبات الواجب موجبة للاطمينان والاستكانة
لمن نظر اليها بعين الاعتبار لا بعين الجهل والاغترار فهي من وجوه منها انك
اذا نظرت بعين الاعتبار الى ملكوت السموات والارض ترى فيها آيات باهرة
ودلايل ظاهرة تدلك على وجود صانعها وتدعوك الى موحدها المدبر لها
القاهر عليها المتصرف فيها كيف يشاء بحيث كاد من فرط الظهور دهشت به
النفوس وتحيرت به العقول وتريها مسخرات بامره واقفة بباب فقرها
اليه وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وحسبك من تلك الآيات ما اشار اليه في القرآن المجيد في مواضع كثيرة
نقتصر على جملة منها نبه عليها بعض الاجلاء وهي في قوله عز اسمه ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس وما انزل من السماء من ماء فاحيى به الارض
بعد موتها وبث من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وفي قوله تع ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف ألسنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات
للعالمين وفي قوله تع ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وفي قوله تع ومن آياته
ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ومن آياته ان خلق لكم

من انفسكم

من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون وفي قوله تع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه رزقا حسنا ان في ذلك لآية
لقوم يعقلون وفي قوله تع الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء
ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وفي قوله تعالى
وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون يتفكرون وفي قوله تع وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير
صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون وفي قوله تع وهو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق
الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون وفي قوله تع وهو
الذي جعل النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون وفي قوله تع فالق الاصباح وجعل الشمس سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وفي قوله تع ان الله فالق
الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله تعالى

فان نوفكون الى غير ذلك من الاشارات التي هي ايات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم يهدي الله به من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من
الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وفي الاحاديث تنبيهات
وافية لارشاد العباد الى دقايق صنع الاشياء وحكمها ومصالحها وعجايبها
وبدايعها مما تحيرت فيه الاقلام وقصرت دون دركها ثواقب الاذهان سيما
في كلمات امام الموحدين امير المؤمنين ومولانا الصادق الامين عليهما السلام
خصوصا في حديث المفضل المروي عن المفضل المبين لعجايب الحكمة وغرايب
التقدير ثم لا يخفى على من تامل في تلك الآيات والتنبيهات ورجع
الى فطرته ان هذه الامور العجيبة والحكم الغريبة وبدايع التدبير ومصالح
التقدير ليس ان يوجد لا بصانع ولا تصنع لا بمبدع ولا يستند لا بحكيم بل من
تقدير العزيز العليم فطر اجناس الخلق وصورها وقدرها في تصاريفها
في الدهور والازمان بحكمة بالغة وقدرة نافذة وقضاء مبرم وعلم محكم
ونعم ما قيل هل يجوز احد ان يأتلف سفينة على نظم متقن لا بصنع صانع
وتدبير مدبر وهل لا يكون بتجويزه خروجا عن فطرة العقول فما في العالم من
السموات والارضين وما بينهما والسموات بكواكبها وشمسها وقمرها وطلوعها
وغروبها واختلاف حركاتها لتقدير الليالي والايام وتدبير الفصول
والاعوام ثم الارض بما فيها من جبالها وسهولها وبحارها ومعادنها

وانهارها

وانهارها وحيواناتها بانواعها ونباتاتها باصنافها ودقايق صنعها في تحقيق
كل ما يحتاج اليه في وجودها وابقائها ثم ما بين الارض والسماء بغيومها
وامطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وعواصفها الى غير
ذلك مما لا يحصيه عدد ولا ينتهي علمه الى احد وان اجتهد فيه العادون ثم
في الامور الباطنة والمعاني العقلية ما لا ينقطع الى حد اوفى بالدلالة على
مدبر ومقدر فانكاره مع ذلك لا يرضى به نفس في التردد في وجود كتاب
لا كاتب له واثر قدم لا قادم له اشد مكابرة واوضح معاندة ثم
اقول من الامور العظيمة ان تلك المخلوقات بما فيها من عجايب الصنع والتقدير
لا يصنعها من هو من جنسها سئل مولانا الرضا عن الدليل على حدوث العالم
قال انت لم تكن ثم كنت وقد علمت انك لم تكون نفسك ولا كونك من
هو مثلك وقال بعض الاجلة انك تجد من نفسك بغير اشكال انك
لم تخلق جسدك ولا روحك ولا حيوتك ولا عقلك ولا ما خرج من اختيارك
من الآمال والاحوال والآجال ولا خلق ذلك ابوك ولا امك لانك تعلم يقينا
انهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات مثلك ولو كان لهم قدرة على تلك
المهمات ما كان يتحيل بينهم وبين المرادات فصاروا من الاموات فلم يبق
منفعته ابداع واحد منزه عن امكان المتجددات خلق هذه الموجودات
ذلكم الله ربكم والهكم واله الخلق اجمعين ومنها اجابة الدعوات وكشف

الكرامات واغاثة المضطرين وكفاية المتوكلين المشهودة بالعيان والاعتبار والمعلومة
من تواتر الاخبار وتظافر الحكايات والآثار فانها تشهد بوجود مدبر خبير بصير
رؤف رحيم قادر حكيم قاهر فوق عباده غالب على امره محتجب عن عيون خلقه
قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ
مَا تُشْرِكُونَ **ومنها** معجزات الانبياء والاوصياء التي هي فوق قدرة
البشر المعلومة بمتواترات الاخبار والسير الشاهدة على صدق دعواهم وحقية
من ارسلهم لهداية السبل لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ **ومنها**
اتفاق ارباب العقول القوية والنفوس الزكية من الانبياء والاولياء و
العلماء والحكماء وسائر فرق الانام على وجود صانع للعالم قائم بنفسه وان
اختلف شرذمة في صفات المبدء وشؤونه ولكن لا خلاف في اصله الا قليل
لا يعبأ به من الدهرية الجهلاء والطبيعية العمياء ومن المستحيل عادة اتفاق
هؤلاء الاساطين من الاولين والآخرين على الخطاء وامر باطل فمن شك كان
عقله اولى بالاتهام عنده بسوء الفهم وجمود القريحة **ختام فيه ايقاظ**
قيل التصديق بوجوده تعالى فطري بصيغة فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
ولذا ترى الناس عند الوقوع الى الاهوال التي لا يهتدون فيها الى الحيلة
يتوكلون على الله بحسب الجبلة ويتوجهون توجها غريزيا الى مسبب الاسباب

وان لم يتفطنوا

وان لم يتفطنوا به وروي هذا المضمون عن مولانا الصادق ع وفي روايات نعم
تفسير الفطرة بالتوحيد والمعرفة وفي بعضها قال رسول الله صلعم كل مولود
يولد على الفطرة يعني على المعرفة بان الله عز وجل خالقه فذلك قوله تعالى وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ **اقول** تلك الفطرة
اما ارشاد سر به غني عن الخلق بخالقهم اذ القوة المدركة المجبولة عليها
الانسان التي يقضي بها بالبديهيات من غير حاجة فيها الى تجشم القياسات البرهانية
والا يلزم التسلسل **ومنها** الحكم بافتقار الاثر الى المؤثر والممكن الى العلة
كما يحكم بوجود الكاتب وارادته وحيوته بمشاهدة الكتابة ومن هذا لم يحتج
الانبياء الناس بالاستدلال العلمي على وجود صانع العالم وقال نبينا ص
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وانما الاستدلال للتعمق
وزيادة البصيرة او لرد اهل الضلال والجحود او لتحصيل سائر مراتب العرفان
ثم الفطرة بالمعنى الاول قد تستر على القلوب من تراكم الظلمات الحاصلة
من تبعات الذنوب فكشفها يحتاج الى دفع تلك الاغشية بمواظبة العبادات
والمجاهدات وحفظ القلب عن الخطرات واليه الاشارة في الاخبار من حصول
العلم بالعمل وبالعكس فقال سبحانه إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وبالمعنى الثاني ربما يستتر الحق
ويلتبس الضروري فيحتاج الى الاستدلال لمؤانسة الذهن بشبهات الجاحدين

ومغالطات المعاندين والابتلاء بحديث النفس ووساوس الشيطان وقد يكون
سببه الغفلة عن الحق للانس والالفة بالمحسوسات وملكات الحس والوهم
والاعتياد بمشاهدة الموجودات بما هي من غير نظر الى فاعلها ومدبرها بحيث
يذهل عنه ولا ينتبه عليه ولا يأنس الا بمذاكرة كثيرة وترتيب مقدمات قياسية
ولذا اذا راى الانسان على سبيل الفجاءة حيوانا غريبا او فعلا من افعال الله
خارقا للعادة انطلق لسانه بالمعرفة فيقول سبحان الله ولا ينطق بها بما
يرى طول الزمان من بدايع خلقة نفسه واعضائه وساير الحيوانات المالوفة
وكلها شواهد قاطعة فلا يحس شهادتها بطول الانس بها ولو فرض اكمه
بلغ عاقلا ثم ارتفع غشاوة من عينيه فامتد بصره الى السماء والارض و
الحيوان والاشجار دفعة واحدة يشهد بلا تامل هذه العجايب على خالقها بل
ربما يخاف على عقله ان يتحير لعظم تعجبه من شهادتها عليه وذكر بعض
العلماء وجها آخر لقصور المعرفة وهو ان شدة ظهوره سبحانه في آثار قدرته
وآيات علمه ولطفه وحكمته في العالم بحيث لم يشذ منها ذرة في ملكوت
السموات والارض صارت سببا لاختفائه ودهشة العقول عن ادراكه
فكما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لفرط ظهوره مع ضعف بصره
فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق وغاية
الاستغراق فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصاير بظهوره

ظهور

ظهور دلالة الاشياء عليه وعمومها بحيث لا ضد لها في الوجود هو بيان لما
هو السبب في قصور الافهام شعر لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا
على اكمه لا يعرف القمرا لكن بطنت بما اظهرت محتجبا وكيف يعرف
من بالعرف استترا **الباب الثاني** في توحيد الواجب بمعنى عدم شريك
له في الالوهية والوجوب والدليل عليه آيتان بالحكمة المحققة للباب
المعرفة واخرى بالشواهد الاطمينانية نور الدليل البرهاني على وحدة
الواجب الوجود وعدم الشريك له ان الموجود بذاته وجب ان يكون في
صرف ماهيته بسيطا احدي الذات لا تركيب فيه من الاجزاء ولا ينحل الى
اشياء وكل بسيط الحقيقة يمتنع فيه التعدد فيمتنع ان يكون الواجب
لذاته متعددا اما الصغرى فلما علمت في الفايدة الثانية من ان واجب
الوجود يجب ان يكون محض الوجود ومحض الوجود لا تركيب فيه لانه لو تركب
فاجزاؤه اما محض وجودات فتكثر بمحض وحدته وتركب من نفسه وان كانت
غير وجودات فان كان محض ليس لم يصلح جزءا للشيء فضلا عن محض الوجود
وان كانت له ماهية فقد تاخر عن محض الايس لتركبه منه فتاخر الجزئية
المقدمة على الكل واما الكبرى فلان محض الشيء لا يتكرر وصرف الوحدة
لا يتكثر فاذن لم يكن له كفوا احد ويكون حاق ذاته شاهدا على وحدته
شهد الله انه لا اله الا هو ومنه يظهر ان الشبهة المنسوبة الى ابن كمونة

في التوحيد من جواز كون ما به الاشتراك عين ما به الامتياز غلط فاحش اذ لا يعقل
ذلك في هوية الوجود الذي هو صريح التقرر وبسيط التثبت ازالة وهم
ان اختلج ببالك ان الوجود مشترك الصدق بين الواجب والممكن لا بمحض
اللفظ بل بمعناه المفهوم منه لغة وعرفاً اذ لا يمكن سلب هذا المفهوم
العام عن كل منهما ولازمه تكثر الجهة في الذات المنافي للوحدة الخالصة
عن جميع الجهات والحدود فيدفع بان المفهوم ليس بموجود محض في الخارج
كما ستعلم بل هو امر انتزاعي فلا يلزم من الاشتراك فيه الشركة في شيء
موجود كما في سائر صفاته تعالى فان قلت الامر الانتزاعي لزم ان يكون ما
به الانتزاع في الخارج عن الذهن والا جاز انتزاع كل مفهوم عن كل موجود
وصدقه عليه فيلزم التركيب ايضاً عما به الانتزاع في الخارج قلنا سيأتي
مشروحاً في باب الصفات ان مفاهيم الالفاظ حيث تطلق على الله تعالى
بمعانيها المختلفة كالموجود والعالم والقادر والحي والحكيم وغيرها فهي واقعة
في مقام الاشارة الى الذات الاحدية وتعريفها باعتبار تجلياتها بتلك
الاوصاف في مجالي الحدوث والامكان ومظاهر المكونات والاكوان
على حسب درك المشاعر والافهام لا لوجود مبادئها في الذات وجهاتها
وكيف ذلك وهي صنع الذات وآثارها وان الاثر بما هو اثر مذكور في ذات
المؤثر بل هو منقطع بعد ذاته بحكم الاثرية والا لم يكن له اثر فلا يشاد

فيما يدخل في ذات المؤثر فصل واما الشواهد المورثة للاطمينان وسكون
النفس بوحدة الموجود بذاته فهي كثيرة ولنقتصر على وجهين اشار اليهما امام
الموحدين امير المؤمنين ومولانا الصادق عليهما السلم اما الاول فقال
لابنه الحسن ع بقوله ع واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله
ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد
كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا وحيث لا اثر له لا وجود
له مع ان الكمال حسن محبوب والكامل يحب اظهاره وكذا يحب افادة نعمه
واشاعة فضله وبسط ملكه وانشاء سلطانه مع ان الانبياء كلهم بعثوا
من لدن اله واحد لعبادة معبود واحد فما خلا الله مخلوق والله خالق
كل شيء واما الثاني فما استشهد به فيما روي عنه ع عندما سئل عن الدليل
على ان الله تعالى واحد من اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عز وجل لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا فانك اذا تأملت ترى العالم كانه دار واحدة
منتظمة في غاية النظام محتاجة الى كل جزء منها بحيث لو فقد واحد لفقد
حتى ان النملة الصغيرة تحتاج في تعيشها الى الحبة تأكلها الى الارض والماء
والهواء بكراتها والشمس وحركاتها بافلاكها المديرة لها وملائكتها
المحركة اياها وغير ذلك من بدايع الصنع التي تطول الكلام بذكرها ومثلها
شانه لا يصدر الا عن مدبر واحد قال بعض العلماء كما ان ايتلاف اعضاء

الشخص الواحد الانساني منتظمة في رباط واحد منتفعة بعضها من بعض مع اختلافها
وامتياز بعضها من بعض يدل على ان مدبرها وممسكها عن الاختلال قوة واحدة
ومبدأ واحد فكذلك ارتباط الموجودات بعضها مع بعض على الوصف الحقيقي
والنظم الحكمي دليل على ان مبدعها ومدبرها وممسكها وحافظها عن ان تنقص
واحد حقيقي يمسك السموات والارض ان تزولا اذ لو كان من الاثنين
صنع بعضهم من بعض فينقطع الارتباط ويختل النظام اذن لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ثم التعدد ربما يجر الى اختلاف
الارادات المقتضي للتمانع المستحيل **الباب الثالث** في توحيد الذات و
ما يترتب عليه من الصفات السلبية وتنزيهه سبحانه عما لا يليق به سبحان
الله عما يصفون واعلم اولا ان الصفات التي يطلق على الله جل قدسه
وعظم سلطانه قسمان تنزيهية تقديسية وهي التي ترجع الى السلوب كالقدوس
والسبحان والسلام ونحوها وثبوتية كمالية وهي ايضا قسمان ذاتية وهي ما لا
يصح سلبه عن الذات ازلا وابدا وكمال على الاطلاق وفعلية وهي ما لا ينفك
عن الفعل فيصح سلبه ما لم يصدر الفعل فهو كمال في الجملة وكل منهما قسمان اما لا
اضافية وهي ما لم تتعلق بالغير بحسب المفهوم كالعالم والقادر والسميع والبصير
والرحيم ونحوها وغير اضافية وهي ما لا تعلق له به وقد يعبر عنها بالقدسية
ايضا كالحي والباقي والازلي والقديم وامثالها واما الفعلية فمحضة وهي

ما لا مبدأ له الا نفس الفعل كالخالق والرازق والمعطي والمحيي والمميت واشباهها
وقد يراد بها ما يرجع الى الصدق على الفعل كالخالقية والرازقية ويرجع الى
الصفات الذاتية وغير محضة وهي ما كان في الممكن كيفية عارضة نفسانية
مقترنة للفعل كالمريد والمشيئة وفي الواجب هو نفس الفعل ايضا وتغايرهما
مع الفعلية المحضة بامر اعتباري ومنه ورد ان المشية والارادة و
الابداع معناها واحد واسماؤها ثلثة وعلى ما في الاخبار كون المشية من
صفات الفعل لا الذات بامكان سلبها وصحة التعليق فيها في قول ان شاء الله
فلا يصح ان يقال ان علم الله يجعل الارادة من الصفات الذاتية فانها عين
الذات عقلا والمحققة مع ان قول المعصوم حجة عليه وربما يوجه ذلك
بارجاعها الى العلم وهو ايضا خطأ فان العلم الذاتي الذي هو عين
الذات لا متعلق له كما ستنبه عليه فلا يمكن تاويل الارادة به واذا علمت
ذلك ففي هذا الباب انوار باهرة تنشر في تحقيق كل مطلب الى دلالة قاطعة
عقلية وشهادة معتبرة نقلية كما اشرنا اليه اولا **نور** لا يجوز على الله
جل وعلا العدم والا لما كان وجوده واجبا ولانه عين الوجود كما تقرر
فهو صريح الشيء بما هو شيء بنفسه والعدم لا ذات له ان هو الا سلب
لا شيء سلب فيمتنع ان يصير الشيء لا شيء والاين ليسا ان هو الا تناقض
مستحيل فاذن هو قيوم ازلي وباق ابدي لا زوال له ولا اضمحلال كل من عليها

فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام نور واذ هو بسيط الحقيقة
احدي الذات فليس له في ذاته حد محدود ولا وصف موجود ولا رسم ولا نعت
ولا قيد ولا كيف تنزه عن الحدود والجهات وتقدس عن كل ما فيه شائبة
معنى غير صرف الوجود البات اذ لو كان فان كان محض ليس لم يكن ذاتية
واصالة ولا اليه اشارة وحوالة وان كان له ابتنية تاخر عن محض الايس
وانقطع دونه فلا يجري عليه ما اجراه ولا يصاحب الازل ما ابداه عادت
الكثرات الى الملك والقديم تبارك وتعالى وحده لا شريك له فهو في
ذاته هو لا سواه لا ذكر فيها لما عداه حتى ضاق المجال عن الاثبات كما قال
مولانا الصادق عليه السلم في حديث الزنديق ان الاثبات لمجرد التفهيم
بتاويل نفي العدم وفي حديث عمران الصابي لمولانا الرضا عليه السلم في
تنزيهه تعالى عن العلم بنفسه انه يستدعي ذكر الغير اذ المعلمة بالشيء لنفي
خلافه ولا شيء مخالف لتدعو الحاجة الى نفي ذلك عن نفسه وفي صدر
هذا الحديث اما الواحد فلم يزل كان واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود
ولا اعراض ولا يزال كذلك وعن مولانا الباقر عليه السلم انه واحد احدي المعنى
ليس بمعان كثيرة مختلفة وعن الصادق عليه السلم في كتاب الكافي وفي التوحيد
ان الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته لا يبلغون كنه عظمته الى ان قال
لا يوصف بكيف ولا اين ولا حيث وكيف اصفه بالكيف وهو الذي كيف

الكيف

الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف ام كيف اصفه بأين
وهو الذي اين الاين حتى صار اينا فعرفت الاين بما اين لنا من الاين ام كيف
اصفه بحيث وهو الذي حيث الحيث حتى صار حيثا فعرفت الحيث بما حيث لنا
من الحيث فالله تعالى داخل في كل مكان وخارج عن كل شيء لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار نور واذ علمت انه تعالى منزه عن كل جهة وحد وحيث
نعلم ان ذاته المقدسة تعالى عن اقتضاء شيء بالاضطرار واستتباعه
بالاستلزام لان الاقتضاء امر رجوعي عن الذات منه في كينونته اليه
فلا يجري عليه والا لزم التكثر الممتنع عن الازل فاين الاقتضاء والاضطرار
يستدعي بوجبه فان كان الذات فيمتنع صدور ما يخالفه عنه مع انه
مبدأ جميع ما في الامكان فلا يخرج عن قلمه شيء الا الممتنع بالذات وهو
ما ليس بشيء وان كان غير الذات لزم التركيب المنافي للوحدة الصرفة
فهذا يعلم انه لا ينافي قضيته شيء ايضا لا استدعائه اقتضاء العدد والتكثر
الممتنع عن القدم لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا نور ومما علمت
من تنزيهه سبحانه عن جميع ما سواه يعلم ايضا انه سبحانه منزه عن التنزيه كما منزه
عن التشبيه لان التنزيه معناه السلب هو فرع امكان الاثبات ولو ظاهرا
وان امتنع خارجا المانع اذ هو قضية حلية يتوقف على النسبة الحكمية
وتصورها فرع امكانها مع انها ممتنع التصور في الذات الاحدية الا بجرد

لفظ لا معنى تحته فان تصور النسبة يستلزم تصور الاقتران وهو يستلزم
التساوي في الرتبة مع ان كل شيء من الامكان والاكوان منقطع دونه
ومحترق لديه لا ذكر له في رتبته فكيف يصح النسبة حتى يقع السلب التنزيه
على الحقيقة وبتقرير اخر السلب امر وجودي هو اثر فعل السالب اعني
النسبة السلبية ولانه ضد الاثبات فيكون وجوديا ما لا لم يكن شيئا حتى
يحكم عليه بالضدية ولذا ليس لله ضد فانه محض العدم وهو لا شيء ومنه
قال مولانا الصادق ع ان النفي شيء فيرجع الى الاثبات حقيقة ولما وقع
في رتبة الذات وهي منزهة عن كل نسبة اذ لا ذكر لشيء فيها ولا للاشياء ان
هي الا هي وتم الكلام فيناقض التنزيه نفسه فان الذات منزهة عن
كل نسبة ثبوتية وسلبية والى هذا يشير قول الامام عليه السلم في معنى الله
اكبر بانه اكبر من ان يوصف تعليلا بانه ليس ثمة شيء حتى يكون اكبر منه
ولعله ايضا مفاد كلام امير المؤمنين عليه السلم في جواب يهودي سئله كيف
كان ربنا قال ع انما يقال كيف لشيء لم يكن فكان هو كائن بلا كينونة كائن
بلا كيف يكون كائن بلا كيف كان لم يزل بلا كيف كان قبل القبل بلا قبل
يكون قبله بلا غاية ولا منتهى الحديث ثم ان ما في القران المجيد وكلمات
المعصومين عليهم السلم من توصيفه تع بالتنزيه فهو على التوسع من باب التعريف
على حسب كينونة العباد ومنزل على رتبة الاسماء والصفات الحدوثية كما

سنبته عليه **نور** ليس له جل وعلا جهة فقر وحاجة لا لنفسه في ذاته
لانه واجب محض وانه غني في خالص حقيقته متقوم بخلاص كينونته متاصل
بمحاض انيته لا اتم منه ولا اشد فلا يتناهى تماميته الى حد فيتصور مرتبة
فوقه كان فاقدا لها ولا لدعدم فيدعو الحاجة الى سبب منعه ولا لمبطل
فيحتاج الى معين دفعه ولا لفعله لانه مبدء كل وجود ومصدر كل فيض و
جود وتوقف خلق بعض الاشياء الى الواسطة انما هو لحاجة المخلوق
اليها في استفاضة الوجود منه تع والواسطة منه اليه ايضا وبيده ازمة
الكل لا يفوته شيء ولا يخرج عن قدرته نور وفيء وعنت الوجوه للحي القيوم
نور انه تع ليس محل الحوادث لا من العوارض الجسمانية المدركة بالحواس
الظاهرة كالحركة والسكون والانتقال والخفة والثقل والحلول والتحيز
والكون في جهة والرؤية في جهة بالنظر والتشكل والابصار واللمس و
الذوق والاستماع والتكلم بنفسه وامثال ذلك لانها من خصايص الاجسام
وعوارض المحسوسات واين هي من الهوية الاحدية الازلية ولا من الكيفيات
والحالات النفسانية المتجددة كالسهو والغم والغضب والميل والكراهة
والاسف واشباهها لانه تع فاعلها فلا ينفعل بها والا تركب من جهتي
الفعل والقبول ويتغير صفاته حيث تغير المتجددات المتعاقبات فتركب من
قوتي الذم والجهم تعالى عن ذلك وما ورد في الكتاب والسنة من اثبات الرضا

والكراهة والحب والغضب ونحوها لله سبحانه فهو بتأويل الغايات دون
المبادي وظهور الآثار دون المعاني ففي الكافي في التوحيد عن مولانا
الصادق ع فلما آسفونا انتقمنا منهم ان الله سبحانه لا يأسف كأسفنا
ولكنه خلق اولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون
فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه لانه جعلهم الدعاة اليه
فلذلك صاروا كذلك وليس ان ذلك يصل الى الله كما يصل الى خلقه لكن هذا
معنى ما قال من ذلك من اهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني اليها
وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فكل هذا يشهد على ما ذكرت لك و
هكذا الرضا والغضب وغيرهما من الاشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل الى
المكون الاسف والضجر وهو الذي احدثهما وانشأهما فجاز لقائل ان يقول ان
المكون يبيد يوماً لانه اذا دخله الغضب دخله التغير واذا دخله التغير لم يؤمن
عليه بالابادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور
ولا الخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً نور ان الله عز شأنه
منزه عن الازمنة والامكنة فهو باق لا بزمان ممدود وكائن لا في مكان محدود
وثابت لا في شيء يستقر فيه ولا على شيء يعتمد عليه ليس له حال حائل ولا ماض
منه زائل ولا مستقبل آجل لا يوقته متى ولا يضمه حين لم يزل ولا يزال اولاً بما هو آخر

واخراً بما هو اول والدليل عليه ان امتداد الكون المتجزي بالازمنة الثلثة عين
نفس الكون فان اقترن بوجوده تع فان لم يكن بابداعه تعدد القديم وان
ابدعه جرى عليه ما اجراه وعرضه ما احدثه وابداه وكل ذلك مستحيل كما
تقدم فالله سبحانه هو عين الازل ونفس الكون ولا شيء معه منتزع عن كينونته
ما للابداية والنهاية واللانهاية محيط على الازمان والاوقات لانهاية
ولا بداية لها احاطة ابدية سرمدية فكل ما وجد وسيوجد حاضر عنده في
الآن لا خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وفي المروي عن مولانا امير المؤمنين
كان قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد وقال ايضاً ع سبق الاوقات
كونه والعدم وجوده والابتداء ازله وقال ع ان قيل كان فعلى تأويل
ازلية الوجود وان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم لم يسبق له حال فيكون
اولاً قبل ان يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً وقال تع وما
امرنا الا واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب انهم يرونه بعيداً ونريه قريباً
كشف عرفاني وحيث انه تع غير محاط بزمان ولا محدود باوقات فلا
يتغير علمه بتغير الحادثات واختلاف المتجددات بل كلها على تغايرها واختلاف
حالاتها المتعاقبات موجودة عنده حاضرة لديه في امكنتها واوقاتها المتناسبة
ازلاً وابداً ويظهر معنى قوله علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين
فان المماثلة تدل على تساويهما في الصورة مع ان حصول الصورة الذهنية سبحانه

مستحيل كما ستعلم وكذا كان مالكا للملك قبل خلقه ويظهر من قوله ع لم يكن خلوا
من ملكه قبل انشائه قال مولانا الرضا ع ليس منذ خلق استحق معنى الخالق
ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البرائية كيف ولا يغيبه مذ ولا يدنيه قد ولا
يحجبه لعل ولا يوقته متى ولا يشمله حين الحديث وقال مولانا الهادي ع
الاشياء كلها له سواء علما وقدرة وملكا واحاطة الحديث فالمكان والمكانيات
بالنسبة اليه تعالى كنقطة واحدة والسموات مطويات بيمينه والزمان والزمانيات
ازالها وابادها كآن واحد فان حجب الاشياء بعضها عن بعض بجهة الزمان والمكان
فحيث فرض عدم احتجابهما كانت عنده كانها نقطة لا يتجزى في آن لا يتجزى
وان شئت تقريب ذلك بمثال فانظر الى انك نفسك وصفحة ذهنك فانك
ترى فيها صور الاشياء المتعاقبة المتتالية في الازمنة الماضية وتجد على صورها
المرآتية حاضرة في الآن عندها على اختلاف حالاتها من غير تفاوت بين القريب
والبعيد فترى دفعة واحدة في مرآة خيالك نيلك بصغرك وشبابك وهرمك و
هكذا في سائر احوالك المتعاقبة على ما شاهدتها في الخارج متتالية على التعاقب

تنوير وحيث علمنا انه سبحانه منزه عن الحدود والصور فلا ينسب اليه ما ينسب
الى الممكنات بعضها مع بعض فلا يشابه شيئا ولا يماثله ولا يجانسه ولا يناقضه
ولا يضاده ولا يلزمه ولا يستلزمه ولا يوافقه ولا يخالفه ولا يساويه
ولا يباينه ولا يتصل به ولا ينفصل عنه ولا يفارقه ولا يقارنه ولا يدخل فيه

ولا يخرج

هو المستعان

ولا يخرج عنه ولا عنه ولا عليه ولا اليه ولا منه ولم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد لان كل ذلك مقامات الخلق وتوابع الحدود والصور فلا يتصف
بها الله المتعالي عنها ولانه سبحانه خلقها بينهم فلا يجري عليه ولا يعرف بها
وام الملك في الملك ليس كمثله شيء قال مولانا امير المؤمنين ع الادوات
تحد انفسها والآلات تشير الى نظائرها اعرفوا الله بالله ان الحدود للخلق و
خالقها وان شئت تفصيل ذلك فاما التشابه فهو تناسب في الهيئة و
لا هيئة له سبحانه والتماثل تناسب في الجزء الاخص ولا جزء له والتجانس في
الجزء الاعم كذلك والتضاد يناقض مبدئية الكل لان الضد ان كان ذا حيثا
او منتهيا الى واجب آخر لزم تعدد القدماء او ممتنعا فلا يكون شيئا وقضيتك التنا
واللزوم ينافي الاستقلال مع ما فيه من مفاسد اخرى والاستلزام يستدعي
الاقتضاء المستحيل بما مر والموافقة تقتضي جهة التوافق كما يلزم جهة التخالف
لمكان الاثنينية فلزم التكثر والمخالفة توجب التكثر مع وجود جهة التوافق وتمنع
حكم الفاعلية ومع علمه لامتناع كون المخالف من حيث هو مخالف علة لمخالفه
والا لصح صدور كل مخالف عن مخالف ومنه ظهر حكم التباين والتساوي ينافي
الصمدية ويستلزم تعدد القديم والاتصال يستدعي المناسبة في الملتقى
الموجب للتكثر الممتنع عن الازل والانفصال من خصايص الجسماني ان كان حسيا
وان كان غيره يرجع الى المخالفة والموافقة الممتنعين ومما ذكر يظهر حال ساير

الاضافات والنسب مما ذكر ولم يذكر والقول الجامع ان الله سبحانه منزه عن جميع
المعاني التي يتصف بها الممكنات ولا يمكن اعتبار عينيتها للذات لانها مجرد نسبة
ورابطة ومن هذا جاز رفع النقيضين في الامكان عن الله عز وجل ويشير اليه كلام
امير المومنين ع داخل في الاشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عنها لا كخروج شيء
عن شيء وقوله ع مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة وقوله ع قريب
في بعده عال في دنوه ظاهر في خفائه **ايضاح** روي عن مولانا امير المومنين ع
انه قال توحيده تمييزه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة ومما يورث
هذا بقاعدة عن اصيله تداولت بين جماعة وهي ان بسيط الحقيقة كل الاشياء
فنفي المغايرة الواقعية واثبتها بالحدود الامكانية والتعينات الرسمية و
التطورات الخلقية كتطورات الواحد في الاعداد وهذا رأي فاسد في اصله سخيف
وجهه فلا يوول كلام الامام عليه السلام بل الظاهر ان مراده ع ان بينونة العزلة بتبادر
الاستقلال والمقابلة والتضاد منها منفية عن الحق كما ورد لذا ايهم نفي الوحدة
العددية عنه سبحانه لما من شانها مقابلة العدد الثاني بل مغايرة الاشياء مغايرة
الصفة عن الموصوف فانها دون رتبة ذات الموصوف ولا شيء عندها ومضمحلة
لديها لا يصح عنها شيئا في مقابلها وانما هي ظهور الموصوف واقف ببابه وحكاية
عنه لا تدل على سواه فلا يضاده لعدم الفرق بينهما في التعريف وان لم يكن حكاية و
دلالة عليه وكيف يكون الشيء بما هو غير حكاية عن مغايره لا اقول بثبوت جهة

ودلالة

وحدة بينها وبين الذات فكانت حاكية عنها بما هي شانها الى الذات وحاكية عنها
باعتبار ظهورها بالصفات والآثار لا باعتبار نفس الحقيقة لان الاثر خارج عن
الذات منقطع دونها فكيف يكون بيانا وكاشفا للحقيقة بل هكذا الحال في
صفات الخلق وموصوفاتها فان قيام زيد في زيد لا يبين حقيقة زيد وانما هو
مجرد اشارة اليه في مقام التعريف وحكاية عنه باعتبار اثره ويجيء زيادة بسط
لذلك في باب الصفات وبالجملة فالخلق كلهم في حكم الصفة للحق قائم به ومضمحل
عنده وبينونته عنهم بينونة صفة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون **تنوير** واذ علمت انه سبحانه
منزه عن الحدود والكيفيات فلا يدركه الاوهام ولا يحيط به الاحلام لا يعرف
كنهه ولا يوصف ذاته ولا يحكم عليها بشيء الا الاثبات اثبات نعما هو ابلغ على حد
اثبات الممكنات كما اشار اليه الامام ع ان قيل كان فعلى تاويل ازلية الوجود
ان قيل لم يزل فعلى تاويل نفي العدم وبالجملة هو مجهول مطلق وعما صرفا انقطعت
دون ذاته في ستر الغيوب اشارات المعاني والعبارات وضلت هناك تصاريف
الالفاظ وتصاريف اللغات كل ما فهمناه وعبرو صفناه داير على الخلق سابر في الخلق
وذلك لان المعرفة فرع الاحاطة وهي يستلزم التحديد المستلزم للتكثر الممتنع عن
الوجوب وما هو محض الوجود وصريح التقرر لا يحيط به شيء بل هو بكل شيء محيط
لا يخرج عن سعة احاطته محسوس ولا معقول ولا متوهم ولا متأصل ولا جليل ولا حقير

ولا جنة ولا قطيع وايضا ادراك الشيء ظهوره عند المدرك وتجليه عليه وهو
اما بالصفة او بالكينونة والثاني يستحيل في درك الاثر للمؤثر لان كينونة ذات
الاثر رقيقة صفة المؤثر لا ذاته فلا يصل اليها بل منقطع دونها لامتناع عروج
الشيء عن مقام ذاته فصفته حجابه عنها والى هذا يشير مولانا امير المؤمنين ع بقوله
لا يحيط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع عنها واليها حاكمها وقال ع
ايضا في امتناع درك الذات بالتعريف والتوصيف رجع من الوصف الى الوصف
ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق الى مثله والجاه الطلب الى شكله الطريق
مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده اثباته انما تحد الادوات انفسها
وتشير الادوات الى نظائرها وقال ع في بعض خطبه المروية في الكافي ان الهيبة
لمجاول الافكار ورادع لطامحات العقول فحسر كيفية نوافذ الابصار
وقمع وجوه جوائل الاوهام فسبحان ربك رب العزة عما يصفون نور الله
منزه عن القبيح ولا يليق به فعله بل فعله الكرم وعادته الاحسان وافاضة الخير الى
المحتاجين عنايته بهم واعطاء كل ذي حق حقه والسوق الى كل مخلوق رزقه
في التكوين والتشريع وهو قوله تعالى واعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذا
معنى العدل بمعنى وضع كل شيء في موضعه كما ينبغي وعلى ما ينبغي وضده الظلم و
الجور والعبث وبهذا الاسم جرى حكم التشريعات والرسالات وتقرر الثواب
والعقاب والميزان والحساب وما ربك بظلام للعبيد ومن هذا وصف نفسه بالرحمن

العامة في قوله سبحانه الرحمن على العرش استوى وبه ورد قلب المؤمن بين
اصبعي الرحمن يطلب منه واقفا ببابه لائذا بجنابه الصراط المستقيم لانه مقتضى
الرحمانية حيث ان الطلب من وسائل الوصول بل بهذا طلب كل موجود بلسان
استعداده كماله فاعطاه وبه دام المداد وانتظم امر الخلق على ما اجراه وعلى الجملة
الدليل على ذلك كله نقلا الآيات المتظافرة والاخبار المتواترة والضرورة
الدينية وعقلا ان تعلق مشيته سبحانه بالفعل ليس بواجب لذاته ولا
تعدد القديم فلا بد له من مرجح وليس هو حاجة يعود اليه سبحانه لغناه المطلق
فلم يكن المرجح رجحان الفعل في نفسه ولو لكونه وسيلة لحصول النفع
للغير المستحق له وخلوه عما يعارضه من المفسدة ولا نعني بالحسن الا ذلك
وبالقبيح ما يخالفه فيستحيل صدور القبيح منه تعالى مجده ولحفظ هذا او
اغتنم به

الباب الرابع

في الصفات الكمالية والنعوت الذاتية وقوله جل جلاله
ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها نور قد دلت محكمات الكتاب والنصوص
المتواترة بل قضت ضرورة الدين بل اتفاق المسلمين على ان لله سبحانه
صفات كمالية يدعى باسمائها وهذه كافية لمن آمن بالرسول وصدق النبوة
في الاذعان بها الا انا نستدل عليها من طريق العقل ايضا بوجهين احدهما
بالدلالة الكشفية الاثرية وهي ان لنا ما نشاهده من آثار الصفات وآياتها
في الآفاق والانفس بحيث لا يشذ عنها ذرة في الارض ولا في السماء ولا ...

لها في كل مكان ولقد اغنى الصباح عن المصباح وما تقدم من التنبيهات العرفانية
والهدايات الرحمانية عليها كفاية لمن له ادنى دراية فانك اذا نظرت
بعين الاعتبار الى اعيان الشهود واكوان العالم عاليها وسافلها ظواهرها
وبواطنها فواعلها وقوابلها اسبابها ومسبباتها سماءها وارضها وما بينهما
وحركاتها وسكناتها وابعادها فصولها واصولها وموالیدها جمادها
ونباتها وحيوانها وبرها وبحرها وجواهرها واعراضها وشاهدت انفسنا
واجسامنا واختلاف اصنافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجمع اطوارنا
وتركيب اعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ونبات شعورنا و
تشكل اطرافنا وسائر اجزائنا الظاهرة والباطنة الى غير ذلك من غرائب
حكم قصر عن احصائها لسان كل واصف ودقايق صنع حسر عن فهمها انسان
كل عارف وتاهت في دركها العقول وتناهت دون الاحاطة باداتها
افهام الفحول على صنع محكم ونظم متقن نراها كما تشهد بوجود خالقها
وصانعها تشهد ايضا بالضرورة بكمال علمه وعموم قدرته وبسط سلطانه
وعظيم عظمته وعميم رحمته ودقيق حكمته وجميل كرمه وانه يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد الى غير ذلك من صفاته العظمى واسمائه الحسنى افلا ينظرون
الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف
نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما انت مذكر اما ترى

انك

انك اذا رايت انسانا يخيط بحكم قطعا بحيوته وعلمه وقدرته بالخياطة و
ارادته وان يد الخياط لا يتحرك بنفسها من غير شعور وارادة وقد يقع مع ان
هذه الصفات منه لا يحس بشئ من الحواس الخمس فهل يكون جميع ما في العالم من
محسوس ومعقول وحاضر وغائب مما في الملك والملكوت ادون في الدلالة
من ذلك واذا رايت تصنيف انسان تعرف به تدرب فضله وكماله والعالم كله
تصنيف الله سبحانه فانظر الى اياته في صفحات الوجود وكلماته المكتوبة على
اوراق الشهود فترى فيها من لطف تدبيره وحسن تقديره واثار حكمته
وكمال قدرته ورحمته وفضله الى غير ذلك ما يبهر به عقلك ويدهش به قلبك
ويعجز عن تقدير احصاء مقاديره العادون وان اتفق عليه الخلايق الى يوم
يحشرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها **ومنها** البرهان الحكمي اللمي
وهو على ما سنح لي ان الصفات الكمالية التي يوصف بها الذات معانيها
المختلفة المتكثرة ستعلم انها ليست حيثيات متقررة فيها فلزم التكثر المحال بل
هي تجليات تدرجها في الحدوث على كينونات عقولنا في مرايا الافعال والاثار
فنشأتيه ومبدئية لاثار الصفات مقام حكم التوصيف وهي ما من حيث
مقدمية الاثار الكمالية له ثم تعلق مشيته بها على حسب تقتضيه الشرايط
والقابليات اما الاول فوجهه انها ممكنة بالذات اذ لا منشأ ذاتا سوى العدم
الصرف واللاشي المحض المناقض للشيئية في مقابل الوجود الواجب عز وجل

كما تقدم في المقدمة وحيث هي ممكنة لزم كونها مقدورة لله سبحانه اذ لولاه
فان لم تتأثر لعلة فاقض امكانها وهف ان تأثرت لا به او بما ينتهي اليه
لزم التسلسل المحيل بحكم المقدمة او تعدد الواجب وبه تم فهو المطلوب
واما الثاني فلان الممكن حيث ترجح وجوده على عدمه باي جهة كانت
يجب صدوره عن الفاعل فان كان الفاعل مخلوقا فمرجح الفعل ارادته
وهي ايضا يستدعي المرجح فمتى وجد وجب وان كان الخالق فارادته نفس
الفعل فلزم رجحان من الخارج لغناه تعالى عن الحاجة ولا مرجح اقوى من حسن
الفعل سواء كان ذاتيا او عارضيا له فحيث كان تعلق به المشية وسياتي
زيادة بيان لذلك في الباب الآتي ولان ترجيح القبيح قبيح فلا يصدر
عنه سبحانه كما مضى فيما تقدم ومن هذا تبين ايضا ان له سبحانه من كل
متقابلين من كمال الموجود بما هو موجود اشرفهما على وجه يليق بجلاله وكل
متقابلين يكونان كلاهما صفة كمال للموجود بما هو موجود فكلاهما ثابتان له
عز وجل على الوجه الاكمل كالنعوت الجلالية والجمالية المعبر عنهما في القرآن
المجيد بقوله ذو الجلال والاكرام وذلك مثل اللطف والقهر والرحمة
والغضب والرضا والسخط وغير ذلك **نور** قد اضطربت الافهام في
كيفية صفات الله تعالى فان اسماء تلك الصفات الواردة على لسان اهل
الشرع ونطق بها كتاب الله اسماء معان ليست باعلام ولا هي مترادفة على معنى

واحد

واحد لانه يفهم ويقصد من كل منها غير ما يفهم ويقصد من الآخر فهي معان مختلفة
ترد على ذات الواجب تنافي الوحدة الحقيقية مع ان اصل الصفة يقتضي موصوفا
واتصافا فيلزم التثليث فان قلنا بثبوت هيئات متقررة وكيفيات راسخة
في الذات كما عليه الاشاعرة العميا لزم التكثر المستلزم للحدوث الممتنع عن الازل
سبحانه سبحانه عن التحديد والتشبيه لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة وان قلنا بنفي الصفات فعزل بان السموات والارض عن سلطانه
سبحانه سبحانه عن الابطال والتعطيل وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم وزعم قوم انها زائدة ولا يلزم التكثر والتركيب منهم الرازي
قال ما خلاصته ان صفاته تعالى معلومة لنا وذاته غير معقولة فلا يتحدان والا
لكانت نفس الذات لكان قولنا الذات عالمة قادرة جاريا مجرى قولنا الذات
ذات فاستحال ان يكون محل البحث والاستدلال على النفي والاثبات ولكان
الاستدلال على صفة مغنيا عن البحث للاستدلال على غيرها بدليل خاص ثم
قال فلا لذ مجموع الذات والصفات فلدفع لزوم التركيب قال لا نسلم ان المجموع
مفتقر الى تحقق اجزائه الا ان الذات قائمة وواجبة بنفسها وهي بعد تعين
وجودها يستلزم تلك النعوت والصفات الزائدة ان كانت ازلية لزم
تعدد القدماء وان كانت حادثة ولو بالذات فالذات محدثها وفاعلها
فيلزم تعدد جهتي الفعل والقبول في الذات وكونها محل الحوادث وثبوت

لعقل وهذا لا امتناع له عند ويمنع ظهور الفعل الا بتلك الصفات

الاقتضاء والاستلزام وكلها باطلة تنافي الوحدة الصرفة كما مضى والى هذا
اشار مولانا امير المؤمنين ع في وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه
فقد جزاه فيكون هناك اصلا قديما لم يزل الله ولم يكن معه شيء ولا يزال كذلك
ومنهم من اول الصفات بالسلوب فقال مرادنا بالعلم عدم الجهل وبالقدرة
عدم العجز وهكذا وهو ايضا خبط وخطاء لان تلك السلوب ان كانت متكثرة
متمايزة لزم تميزها بامر وجودي اذ لا تمايز بين الاعدام فيلزم التكثر المنافي
بضرورة الشرايع والاديان ونصوص القران وما في بعض الاخبار من التاويل
بالسلوب فهو في مقام ردكنا اياها تنبيها على عجزنا عن تصورها وفهم حقيقتها
التي هي عين الذات كما اشار اليه الامام ع في حديث الزنديق المتقدم في اثباته
تعالى الموهم للتحديد وهنا اراء اخر سخيفة هي اهواء واهية كزعم اهل
الاعتزال ان هنا احوالا غير مجعولات وظن بعض جهلاء الفلاسفة انها ليست
هو ولا غيره الى غير ذلك من المذاهب الباطلة التي احدثها الجاهلون واتفق
المحققون من اصحاب الحكمة والعرفان ان الصفات عين الذات على ما دل عليه
اخبار المعصومين ع كقول مولانا الصادق ع لم يزل الله تعالى ربنا والعلم ذاته اذ
لا معلوم والسمع ذاته اذ لا مسموع والبصر ذاته اذ لا مبصر والقدرة ذاته
اذ لا مقدور فلما احدث الاشياء وقع العلم منه على المعلوم ولكن اختلفوا
في تقرير العينية مع اختلاف المعاني ووحدة الذات على وجوه اكثرها فاسدة

كقول

كقول جمهور الفلاسفة ان الاختلاف اعتباري لا حقيقي ومرجع ذلك الاعتبار الى
اختلاف متعلقات الصفات واضافاتها الى الذات فاذا قلنا انه عالم فهو باعتبار
انكشاف المعلومات له وقادر باعتبار مقدوريتها وهكذا وانت خبير بان الامر
الاعتباري ايضا يستدعي منشأ الاعتبار في الخارج فان كان جهة ترجع الى الذات
يلزم التكثر الممنوع وان كان يرجع الى الفعل كانت الصفات الكمالية كلها فعلية
وهو خلاف ما اتفقوا عليه من تقسيمها الى الذاتية والفعلية وتحقيق المقام
على ما يسعه الكلام في المقام يتم بذكر مقدمتين احديهما ان مفهوم
الشيء غير ما هو الموجود في الخارج ولذا لا يصح ان يقال الانسان الموجود مفهوم الانسان
ولا هو جزئه الخارجي فكان الموجود مركبا منه ومن الوجود تركيبا حقيقيا والا
فرع الاثنينية واستقلال كل منهما في التحقق وهو منتف كما تقدم في الفائدة بل
هو مثال الموجود العيني في مرآة الذهن ولحاظ العقل قال بعض المحققين
من نظر الى مفهوم الانسانية فهو من حيث هذا النظر غير واصل الى حقيقة
الانسانية ومن نظر الى عين وجوده وان قطع النظر عن ذلك المفهوم فهو
واصل الى الانسانية وذلك ان الانسان في الحقيقة هو احد الموجودات العينية
بعينه الذي هو بذاته انسان واما مفهوم الحيوان الناطق او مفهوم الانسان
فهو ليس بانسان بحمل المتعارف وكذا مفهوم البحر ليس ببحر ومفهوم اللذة ليس
بلذة وعلى هذا القياس انتهى وثانيهما انه ليس من شرط المشتق كالعالم

والحق ان يكون بازائه في الخارج امور متعددة موصوف وصفة واتصاف و
معروض وعارض وعروض بل يكفي في صدقه مجرد التغاير الاعتباري التعبيري
فلو فرض بياض مجرد قائم بذاته لكان ابيض ومفرق البصر كما كان بياضا فحمل
المشتق مبني على اعتبار كون الشيء ذا نفسه كما في اضافة نفس الشيء اليه نحو
جانبي زيد بنفسه واذا تقرر ذلك فنقول الصفة الذاتية ما له في الموصوف
مبدء محقق يظهر لاجله الآثار الفعلية في الشهود وهذا المبدء في الممكن ملكة
مستقرة في ذاته قائمة بها كالشجاعة واثرها الخوض في الحروب والوقوع في
المخاطر والاهوال بلا خوف ودهشة والجود مبدؤه الكيفية النفسانية و
اثرها البذل والاعطاء وفي الواجب هو نفس الذات بلا تعدد جهة وحيثية
ويصدر منها بنفسها الآثار والافعال بلا كيف يتصور ولا تنثلم الوحدة
بالاختلاف الآثار والمظاهر وحيث لا يعلم احد من الصفات الذات الاحدية بوجه
ولا صدور الفعل عنه تعالى فلا يعلم احد الصفات ولا نسبة الافعال اليه اذ لا
كيف لفعله كما لا كيف لذاته كما قاله الامام عليه السلام فيما ستسمع فلولا امر الشارع
ما وسعنا توصيفه بالصفات كما قال سيد الساجدين عليه السلام لولا الواجب من
قبول امرك لنزهتك عن ذكري اياك وفي خطبة الوسيلة المعروفة عن امير المؤمنين
ان قيل كان فعلى تاويل ازلية الوجود فان قيل لم يزل فعلى تاويل نفي العدم فالتكلم
في صفاته الذاتية خبط وضلال اذا بلغ الامر الى الله فامسكوا ان الذين يلحدون

في اسمائه سيجزون بما كانوا يعملون هذا هو القول في مبادي الصفات وحقايقها
فان كلها حقيقة واحدة عين الذات واما بحسب المفاهيم فهي معان متكثرة
يشير الى مصداق واحد ولا توجب تكثره لما علمت ان المفهوم غير الموجود في الخارج
انما هو مثال العين في الذهن فلا يلزم تكثرها تكثر العين بل هي مظاهر
الحقيقة البسيطة الازلية في مرايا المشاعر نعم لما كانت العين الموجودة
منشأ انتزاع المفهوم ولازمه تعدد جهات الانتزاع في العين حيث تكثرت
المفاهيم ويمتنع هذا في الحقيقة الاحدية الازلية المنزهة عن جهات الكثرات
ففيها محل انتزاع مفاهيم تلك الصفات من جهات الذات لا على ما هي في
حاق هويتها التي لا سبيل للعقول الى دركها وتصورها بل بما تجلت به على المشاعر
الادراكية على كينوناتها بملاحظة الآثار والافعال وهذا هو رتبة الواحدية
ومقام الصفات ووجه الذات في الحدوث ومثالها الملقى في هوياتها على
حسب قابلياتها كما قال امير المؤمنين ع لا تحيط به الاوهام بل تجلى لها بها وبها
امتنع عنها فهي صورة الذات بكمالاتها التي هي في مقام الذات حقيقة واحدة هي
عينها في صقع الحدوث على مجالي العقول على طبق كينوناتها فالكثرات كما علمت
من قول الامام ع عادت الى الملك والقديم وحده لا تكثر فيه واشار اليه ايضا
بقوله المفتقر رجع من الوصف الى الوصف ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق
الى مثله والجاه المخلوق الى شكله الخ انما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات

الى نظائرها وقال مولانا الرضا عليه السلام ان الله المبدأ الواحد الكائن
الاول لم يزل واحدا لا شيء معه فردا لا ثاني معه لا معلوما ولا مجهولا ولا محكما
ولا متشابها ولا مذكورا ولا منسيا ولا شيئا يقع عليه اسم شيء من الاشياء غيره
الى ان قال وما اوقع عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من
فهم الحديث والقول الجامع في ذلك ما قال مولانا الصادق عليه السلام كلما ميزتموه
باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم وبالجملة الموصوف
بالصفات هو مثال الحق الملقى في مرايا العقول على حسبها لا على حسبه ومع ذلك
لا يصح سلبه عنه كالشبح المرئي عن بعد فيرى الكبير صغيرا والطويل قصيرا
ومع ذلك لا يصح ان يقال هذا الصغير القصير ليس زيدا مثلا فهو هو ولكن لضعف
بصر الناظر عن مشاهدة البعيد بما هو في حاق نفسه يراه على غير ما هو وعلى
هذا القياس صفاته سبحانه فان آثارها في الحدوث مشهودة ومباديها بما هي
غير متعقلة وما نتعقلها على حسب ادراكنا لا يصح سلبه عنه تعالى كما انا نصفه
بالبقاء والدوام ولا نتصور الا امتدادا زمانيا مؤلفا وآنات متعاقبة
تذهب وتجيء وهذا الامتداد لا يجري عليه تعالى كما عرفت فليس له ماض وحال و
مستقبل ومع ذلك يصح لنا ان نقول كان الله فيما مضى وفي الآن وفيما يأتي
فكان وكائن ويكون لان هذا المعنى مظهور بالبقاء لنا على طبق كينونتنا
بمعنى انا لا نستطيع تعبير البقاء الازلي وتصويره الا كذلك فنشير في مقام التعريف

بالبقاء

بالبقاء الزماني الى الازلي لان تقديره في القدم للحادث لا يمكن الا بما يتصور في
الحدوث ويطابقه ومن مثال ذلك ايضا صورة المقابل المرتسمة في المرآة المعوجة
فانه لا يصح سلب كونها صورة له مع انها لا تطابقه بل لا فرق بينها وبينه
غير انها آية يستدل بها عليه في وجوده وكماله واذا كانت المرايا مختلفة في
الاعوجاج فله في كل مرآة ظهور بحسب ما يحتمله من الصورة واذا فرض ان
ان المقابل لا صورة له في نفسه وانما يتشكل بها في المرآة عند المقابلة فلا يطابق
شيئا من الصور بوجه اصلا ومع هذا هي مثاله وصورته على حسب كينونة المرآة
لا يصح سلبها عنه ؛ وكل يدعي وصلا بليلى ؛ وليلى لا تقر لهم بذاكا
وقس على ذلك تصور الصفات له تعالى في الحدوث وكينونات العقول وبه القول
في توجيه حمل المشتق المشعر بالاثنينية بل التثليث على الذات وتوجيهه ما ذكرنا
من كفاية التغاير بمجرد اعتبار لفظي بحسب الوضع في صدق المشتق كحمل الابيض
على البياض واضافة الشيء الى نفسه غاية الامر ان حمل المشتقات المختلفة
المفاهيم على موضع واحد يستلزم تعدد جهات الموضوع وقد علمت ان صدق
مفاهيم الصفات وحمل مشتقاتها على الذات الاحدية انما هو بحسب ظهورها
في الحدوث على كينونات العقول في مقام التعريف والاشارة الى الذات في
بناء الاوضاع العامة على المفاهيم المتصورة الامكانية فلا مدخل لها في
صقع الوجوب التي ضربت سدنة ولم يخالطه الحدود والكيفيات اللازمة في

مقام التصوّر في الوضع العالم **تلخيص** خلاصة المقال في هذا المجال انك بعدما
علمت ان الله احدي الذات من جميع الجهات وعلمت آثاره في الشهود المستدعية
لمبادي هي الصفات المقتضية لها كما اذا نظرت الى نفسك وهي اقرب الاشياء
اليك فعلمت ان لها مؤثرا موجودا وهو حي عالم بك قادر عليك حكيم حيث
اوجدك على صنع محكم وخلق متقن الى غير ذلك من كمالاته الظاهرة لك من ملاحظة
هذين الامرين المعلومين الاذعان بشيئين متفرعين عليهما **احدهما** ان تلك
الصفات في المبدأ القديم المقتضية للآثار لا تعدد لها بل هي حقيقة واحدة
عين الذات لئلا يلزم التكثر الممتنع عن الازل وان لم يتصوره عقولنا لكونه
فوق مقامها كما اشار اليه مولانا الصادق عليه السلام بدت قدرتك يا الهي و
لم تبد هيئته فشبهوك وجعلوا بعض آياتك اربابا يا الهي فمن ثمه لم يعرفوك
يا سيدي وهذه هي رتبة الذات المعبرة عنها بالاحدية فلا اضافة هنا
للصفات واليه الاشارة في قول الامام عليه السلام كما سمعت لم يزل الله ربنا والعلم
ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع الى قوله عليه السلام فلما احدث الاشياء وكان
المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع الحديث وهنا لا يسع الكلام
اكثر من ذلك كما قال عليه السلام كلّ دون صفاته تحبير اللغات وضلّ هناك تصاريف
الصفات حال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب فتاهت في ادنى ادانيها
طامحات العقول فانقطعت عندها الاشارات **وثانيهما** ان تلك الصفات

بمعانيها

بمعانيها المتكثرة المختلفة ثابتة له لا بمعنى انا نعرف حقائقها بل بما يعرفه من تجلّيه على
عقولنا ومداركنا بافعاله وآثاره الصادرة عنه صدورا لا يعرف كيفيته
اذ لا كيفية له كما ستعرف فتجري حكم الصفات واضافاتها الى المتعلقات على نحو
ودار على ظهوره بابداعه وهذه هي المرتبة المسماة بالواحدية التي ظهرت
الوحدة بصفات الربوبية ونعوت الالوهية **تبصرة** ويستبين لها تين
الرتبتين اسماء الظاهر والباطن حيث يدل الاول على ظهوره تعالى في مرتبة الفعل
والواحدية والثاني على خفائه في مرتبة الذات والاحدية وحيث ان صفاته
في غاية الكمال كما ستعرف فلا شيء اظهر منه ولا شيء اخفى منه وهو جلّ لا شيء
اظهر للشيء من نفسه لانها اقرب الاشياء اليه ولا شيء اخفى مما كان نفسه حجابه
والله تعالى من حيث خلقه للمخلوق بنفسه مظهره في الصفات وحجابه للذات والى ذلك
اشار ما نقلته من كلام امير المؤمنين عليه السلام فيما قال لا يحيط به الاوهام بل تجلى لها بها
ولها امتنع عنها والبها حاكمها فهو على كل شيء وعند كل شيء تجلى لخلقه
من غير ان يكون يرى وهو بالمنظر الاعلى وهذا معنى قوله عليه السلام اعرفوا الله بالله
وقوله عليه السلام ليس لنا طريق الى معرفته الا بالعجز عن معرفته هذا اذا اعتبر الصفات
بحسب المفهوم ولا اضافة الى الغير واما اذا عمّا بالاضافة الى الذات فبينها فات
ظهور الذات لذاتها بذاتها هو عين ذاتها ولا يتصور الخفاء فيها ولا دخل
هنا للغير الذات اذ الغير ممتنع فالظهور والبطون بتلك الملاحظة بمعنى واحد

فهو ظاهر في كونه باطناً وباطن في كونه ظاهراً نور وإذ علمت ان حكم
الصفات بمعانيها المتكثرة جرى في الحدوث في مقام ظهور الواحدية ولا ذكر
لها في حضرة الأحدية غير انها حقيقة واحدة عين الذات فكل ما في الأخبار من
نفي الصفات يراد به في رتبة الذات كما اشار اليه مولانا امير المؤمنين عليه السلام
مضافاً الى الكلمات الشريفة المتقدمة من وصف الله فقد حده ومن حده
فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه الحديث
وما نطقت به الشريعة من ذكر الصفات والاسماء يراد به في الرتبة الثانية
التي هي مبدأ الاضافات والتجليات ومقام الفرق بين الصفات والذات
حيث لم يكلف الناس بالدلالة والهداية فوق تلك المنزلة اذ لا سبيل لهم
الى معرفته بل كلفوا بما اراد الله معرفته بصفته التي وصف بها نفسه وهي
صفة محدثة وان لم تشبه صفة الخلق ايضاً لانتهائها الى حد وهي غير متناهية
كما عرفت فكل حد يتصور من مقاماته له مقام فوقه فلا تعطيل لمقاماته في
كل مكان فيزداد المعرفة بالتجاوز من مقام الى آخر وهذه المعرفة هي المقصودة
في الشريعة من ارشاد الصفات قال مولانا الباقر ع خلقها الله اي
الأسماء والصفات وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها اليه ويعبدونه
فهو ذكره وكان الله ولا ذكر ولا مذكور والمذكور بالذكر هو الله القديم
الذي لم يزل والأسماء والصفات محدثات الحديث ومن هذا يظهر وجه

ما ذكرنا

ما ذكرنا من ان اسماء الله توقيفية فانه لا سبيل لنا الى معرفة الذات لكي نصفه
ونسميه بما عرفناه فاللازم علينا في دعوته والاشارة اليه الاقتصار بالتعبد
بما وصف الله نفسه لعباده وسماها به فيراد بالموصوف الاشارة الى
الذات كما في الخبر المذكور بقوله والمذكور بالذكر هو الله القديم والصفات
واقعة في مقام التعريف كما اذا قلت يا قائم وتريد زيداً فالمدعو هو زيد بذاته
لا بما هو موصوف بالقيام وانما القيام في مقام التعريف وليس منظوراً بالذات
فالمسمى واحد قديم والاسماء كثيرة حادثة كما قال ع كل موصوف مصنوع وصانع
الاشياء غير موصوف فالتعبد بتلك الوصف ليس الا لكونه مرآة المعبود لا
انه مقصود بالعبادة والى هذا اشار مولانا الصادق ع في حديث هشام بقوله ع
الاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ومن عبد
الاسم والمسمى فقد اشرك وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك
التوحيد افهمت يا هشام قال قلت زدني قال ع لله تسعة و
تسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان لكل اسم منها الهاً ولكن الله معنى
يدل عليه هذه الاسماء وكلها غيره الحديث فظهر انه لم يرد بالاسم اللفظ
لعدم ذهاب وهم الى كونه معبوداً قديماً ولم يتوهم السائل مع فضله وبراعته
بيان لذلك بل المقصود الرد على القول المنسوب الى الاشاعرة من ان للصفات
مدخلية في ذات القديم فابطله بان كل واحد من تسعة وتسعين اسماً يدل على حده

على الله من غير مشاركة سائر الأسماء ويعبد بهذا الاسم فلو كان الذات مع خصوصية
هذا الوصف معبوداً لتعدد الإله المعبود بتعدد تلك الأسماء والصفات التي
يعبد الله بكل منها لاختلاف المركب باختلاف جزئه ولعمري انه اشكال
عجيب وبيان لطيف صدر من مشكوة النبوة وفي دعاء عرفه لسيد الشهداء عليه السلام
روحنا فداه الهي امرتني بالرجوع الى الآثار فارجعني بكسوة الأنوار وهداية
الاستبصار حتى ارجع اليك منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها نور وحيث علمت ان حكم الصفات بمعانيها المتكثرة التي تطلق عليه تعالى
جرى في رتبة الحدوث ولا تؤثر في الوحدة الذاتية والتسمية بمجرد التعريف و
الاشارة تبين لك ان القول بكون الوجود مشتركاً لفظياً بين الواجب والممكن
حذراً عن لزوم التركيب بما به الاشتراك وما به الامتياز على الاشتراك المعنوي شطط
من الكلام لأن وجوده سبحانه كسائر صفاته عين الذات بحسب الحقيقة المجهولة
الغيبية وغيرها بحسب المفهوم والأوضاع اللغوية تدور على المفاهيم المنتشرة الذي
ويجري عليها دون المصاديق الخارجية فلا يلزم من الاشتراك المعنوي تكثر
في الذات اذ لا وضع لها للذات بل يشار بمفهومه الموضوع له اليها من باب
التعريف كما سمعت من كلام الامام ع ويشهد به ضرورة الوجدان ايضاً فانا نعلم
قطعاً انه لو يضع الواضع لفظ الوجود تارة للواجب واخرى للممكن كيف والآن
هذا الحكم في الفاظ سائر الصفات كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر

والرحمة

والرحمة وغيرها لاشتراكها مع الوجود في الجهة المقتضية لذلك ولم يقل به احد
نور الصفات الذاتية في رتبة الذات منزهة عن وصف التناهي وعدم
التناهي لانها عين الذات والنهاية واللانهاية من صفات الممكن فيمتنع في القديم
واما في رتبة الظهور والحدوث ومقام الواحدية فهي غير متناهية بمعنى ان بعضها
بحيث لا يخرج عنها درجة من درجات الامكان الغير المتناهي فان كل درجة منها
تحتمل درجة فوقها في الامكان ولو تكثرت افرادها الى ما لا نهاية له فكل ما يقبل
الوجود لذاته داخل في عموم قدرته ووفور علمه وسعة رحمته وغيرها من صفاته
واسمائه فهو اقدر القادرين الى ما لا نهاية له واعلم العالمين وارحم الراحمين واكرم
الاكرمين واعظم المتجبرين واشد المعاقبين وهكذا وما يخرج من بعضها فهو
ممتنع بذاته عن قبول الجعل والوجود كجمع المتناقضين هو ليس بمحض لا يقبل الإنية
ويدل على ذلك مضافاً الى ما قدمناه من استجماعه لجميع الكمالات الامكانية فيشمل
جميع درجاتها المندرجة من القوابل الامكانية الغير المتناهية ما يصدق الكمال
على الكل ان صفته لو كانت محدودة بحد من درجات الامكان فلا بد لجهة مخصصة
الى هذا الحد فان رجعت الى الذات لزم التكثر المنافي للوجوب او الى نقص الوصف
ناقص امكان فوقه او الى مانع خارج فان كان واجباً لزم تعدد الواجب او ممكناً
تعلقت القدرة به والا لزم التسلسل المستحيل نور واذ تبين لك ان حكم الصفات
في مقام التجلي بالافعال والآثار فتختلف الصفات باختلاف الظهورات وقابليات

المشاعر الأول وكانت شئون علّيتها في العموم والخصوص وما بينهما من المراتب في
الشرف والكمال والبهاء والتجلي الأعظم والظهور الأعم الأتم على اشرف ما يحمله
الإمكان حصل بالإبداع الأول والفيض الأقدس فهو رتبة الواحدية الى أن
بمثل الحديث ورد ان النملة تزعم ان لله زبانيتين لما انهما كمالها وهذا ما ورد
من صوغ التشكيك في صفاته تعالى في الدعاء اللهم اني اسئلك من بهائك
بأبهاه ومن علائك بأنفذه ومن كمالك بأكمله ويشير الى هذا قول النبي
يا علي لا يعرف الله الا انا وانت اي المعرفة الكاملة التي لا فوقها في الامكان
لأن لهما رتبة الاشرفية فعرفا الله بما تجلى لهما بهما في الصفات الكاملة البالغة
الى المرتبة القصوى وانهم مدار وجوده المقدس الذي هو التجلي الأعظم و
كل يبتدرون بها من خصوصيات هذا التجلي العام وقيود اطلاقه التام وتنزلات
بهائه واسعة ضيائه والمرايا المنتزلة عنه على اختلاف كينونتها سبل
معرفة الله ومختلفة في الاستقامة والاعوجاج والصفاء والكدورة
فالمعرفة الحقة تطلب من المرايا الصافية الباقية على فطرتها على حسب درجاتها
في العلو والسفل والقرب من التجلي الأول والوجه الأعظم قال الصادق ع
نحن الأعراف الذين لا يعرف الله الا بسبيل معرفتنا فهم كما وصفوا انفسهم
الشريفة اصول الكرم وقادة الامم وابواب الايمان ومحال معرفة الله وحفظة
سر الله والرحمة الموصولة والامانة المحفوظة من اتاهم نجى ومن لم يأتهم هلك

ومن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بأمره يعملون نور ولما كانت الصفات الذاتية في نفس الذات
عينها فلا مناسبة بينها وبين صفات الخلق ولا يشبه وجوده تعالى وجود الممكنات
فانه لا ذكر لغيره عنده وممتنع لديه وهي مضافة الى الحوادث والصور وقائمة
بها قيام تحقق كقيام الصوت بالمرآة اذ ليست هي الا ظهورات الحقائق الامكانية
القائمة قيام صدور ومتنورة بنور الله الشارق من صبح الازل والواقع في الابداع الساطع
على هياكل الامكان الغير المتناهية ثم مندرجا على حسب ترتب الشرائط والاسباب
على اعيان الاكوان كما سيأتي تفصيله في الباب الآتي فهذا منهج الحق الموافق
للشرائع الدينية في التوحيد الوجودي لا ما طغى به اوهام اكثر المتصوفة و
فرقة من المتفلسفة من وحدة الوجود في الواجب والممكن وانه حقيقة واحدة هي
ذات الحق والكثرات والتعينات اطوار وشئونه في الامكان على اختلاف
يسير في طورهم وملأوا منه طواميرهم ووضعوا فيه كلمات لطيفة وتموهيات
وتشبيهات خفية نظما كلها اخباط واغلاط ليس الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله
سريع الحساب يقولون كل شيء هو الله بلا خصوصية فالحجر مثلا من حيث وجوده
هو الله ومن حيث هو الخلق فالحجر هو الله بلا حجر وتكون الحقيقة عندهم واحدة و
الكثرات اطوارها والحدوث تطورها بالصور المختلفة وظهورها بالتعينات

النشئة فاعل باحدى يديه وقابل بالاخرى ومثلوا تقوم الخلق بالحق بتقوم
الامواج بالبحر والحروف بالالف والنقوش بالمداد والكلام بالنفس والاعداد بالواحد
والثلوج بالماء ويقول شاعرهم وما الناس في التمثال الا كواحد و
اسلها الماء الذي هو نابع ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء
والامر واقع وقال اخر البحر بحر على ما كان في قدم ان الحوادث امواج
والهاد لا يحجبنك اشكال تشاكلها عمن تشكل فيها فهي استار وقال الناظم
وقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا اخالك اني ذاكر لك شاكر فلما اضاء
الليل اصبح عارفا بانك مذكور وذكر وذاكر وقال ابن العربي في الفصوص
فانا اعبد حقا وان الله مولانا وانا عينه فاعلم اذا ما قيل انسانا فلا
تحجب بانسان فقد اعطاك برهانا فكن حقا وكن خلقا وكن بالله رحمانا وغذ
خلقه منه فكن روحا وريحانا فاعطيناه ما يبدو به فينا واعطانا
فصار الامر مقسوما باياه وايانا واما امثال هذه من الخرافات والاباطيل
التي قضت ضرورة الدين الشريعة ببطلانها واستفاض بنقل الاجماع من اساطين الدين
على تكفير قائلها وما احسن ما اورده بعض من هو منهم فقال في حاشية
الفتوحات عند قوله سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها الا تستحيي من الحق
ايها الشيخ لو سمعت من احد انه يقول فضلة الشيخ عين وجود الشيخ لا تسامحه
بل تغضب عليه فكيف يسوغ لك ان تنسب هذا الهذيان الى الملك الديان تب

الى الله توبة نصوحا لتنجو من هذه الورطة الوعرة التي تستنكف منها الدهرية
والطبيعيون فيا ويلهم متى احاطوا بذات الله فسوغوا فيها تلك الخرافات
وليس كمثله شيء وما قدروا الله حق قدره فاستباحوا فيها تلك التشبيهات والافتراءات
بتلك الامثال فبالله كبرت كلمة تخرج من افواههم تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولما كان هذا القول بظاهره ظاهر
الفضائح والقبائح لكون الذات محل الحوادث وحصول التكثر والتغير والانفعال
فيها وربط الحادث بالقديم واتصال الحدث بالازل وغيرها من خبائث الحدوث
ونقائص الامكان بل صدق الله الملك المتعال معاذ الله على كل موجود حتى
مثل الكلب والسنور صدق المطلق على المقيد وان كان القيد خارجا كصدق
الجسم على الاسود مع خروج السواد عنه تصدى بعض محققيهم ومصنفيهم لاصلاحه
فقال مرادنا بتصور الله تصور الخلق وان كل الاشياء هو ظهوره في مرتبة الواحدية
اعني مرتبة الصفات والافعال بصور الكل بمجموعيتها دون مرتبة الاحدية فان
الذات في مرتبة نفسها بما هي منزهة عن جميع الصور والحدود ليست الا نفسها
ازلا وابدا فهو الله سبحانه كل في مرتبة الكل لا في مرتبة الذات واستشهد بقول
شاعرهم كل شيء فيه معنى كل شيء فتفطن واصرف الذهن الي كثرة لا تتناهى
عددا قد طوتها وحدة الواحد طي فلا يلزم من تكثرها وتغيرها كثرة وتغير
في الذات فلا يلزم منه صدقه على كل شيء لان حدوده خارجة منه فيصح سلب

المركب وتوضيح مراده ان الذات في مرتبة الفاعلية متصوفة بالحدود الفعلية
لا في مرتبة ذاته وقوام الفعل بالذات فالحقيقة للذات والصور للفعل فلا يلزم
التكثر والتغير في الذات من حيث هي وذلك كتباين الاشياء بالنسبة الى وجودها
على قول غير اهل الوحدة ايضاً فان الوجود نفسه غير متصور بالماهية كما هي مذكورة
فيه مع ان ما هو حقيقة الشيء الموجود ليس ما به صار الشيء شيئا وذا حقيقة
ليس الا الوجود فكما ان الوجود لا يصدق على الماهية الموجودة كالحجر والفرس وغيرهما
على قول مخالفهم كذا لا يصدق على قولهم فهذا الوجود في مقام ذاته من حيث هي
لا يدخل فيه الماهية فلا يصدق عليها في مقام صفته مقيدا بها ومضافا اليها كالواحد
والعشرة فان الحقيقة هي الواحد والاثار للعشرة اذ ليست العشرة الا الوحدات
المكررة فالتكرير وصف للواحد متقوم في حقيقته به فلا حقيقة الا الواحد
هذا الباب خيالهم وحقيقة مقالهم وانك اذا تاملت صادقا تجده اختلاف
تعبير لا يغني من الحق شيئا وان مرتبة الواحدية التي ظهرت فيها الحدود والتعينات
ان قلت ليس لها وجود محقق بل مجرد وهم وخيال فالجواب لك الا السكوت ضرورة
ان نفي حرارة النار وتحريقها وبرودة الماء وترطيبها والامتياز الواقع بينهما
امر خيالي سوفسطائي مع ان الموهوم له وجود بحسبه ممتاز به عن عدمه
وان قلت بكونه محققا فهو غير الوجود الواجب القديم كما هو مذهب المؤمنين فبطل
قولك بوحدة الوجود وان قلت هو وجود الحق الذي عين ذاته لزم جميع الفضائح

والقبائح

والقبائح ومما ذكره ولم يذكر فاين المهرب يا ايها الرفيق عن هذا المهلك المضيق وكانه
خروج الصور عن حقيقة الوجود في منع صدقه على المقيد بها فان كل مطلق يصدق على
المقيد مع خروج عن حقيقته والحاصل ان الفضيحة كل الفضيحة في انكار وجود مخصوص
لكل شيء فانه لولا اعتبار وجودات خاصة للاشياء ولو في ظهوراتها العينية
الظلية التي ليست نفس مصداقها كما هو ليس محض لزم نفي التغاير والتمايز ذاتا
بين جميع الموجودات حتى بين الاعراض والجواهر والعلل والمعلولات لامتناع التمايز
بالعدم او بالامر المشترك وان هو الا سفسطة محضة قضت الضرورة ببطلانها
فان قلت انك ستقول كما قال المحققون ان الابداع الاول على ما يقتضيه البرهان
هو الوجود الاطلاقي الانبساطي الذي به تشيئت وتاصلت الاشياء بوحدته
وكثرتها فما يلزم هذا القول من وحدة وجود الاشياء يلزمنا من غير فرق قلنا
مع ان بطلان كثير من تلك المفاسد الواردة انما هو على وحدة الوجود الواجب
دون الممكن نحن لا نقول وجود الاشياء عين هذا الوجود المطلق وان قام به
قيام تحقق كقيام الاشعة بالسراج لان التحقيق ان وجودات الاشياء ليست
الا ظهوراتها المتقومة بهذا الوجود الامكاني الاطلاقي بعد فناء الاشياء
كالضوء المشرق فان الضوء واحد وهو الخارج من السراج المنبسط على اجزاء
البيت مثلا ولا يزول بزوال المشرق الذي هو اثر الضوء فانه متكثر بتكثر المحل
وينعدم بانعدامه فالصور والماهيات مذكورات بالامكان في لوح هذا الوجود

ومتصلة ومرتبطة بها ومنتسبة اليه في الكون كنسبة الشعاع الى ذي الشعاع و
لا تحدد فيه بخلاف الوجود الواجب المنزه عن جميع الجهات والنشأت فلا ربط بينه
وبين الحادث والا كان الحدث ازليا او الحادث قديما كما تقدم وكون الذات
منطويا في مقام الواحدية دون الاحدية بالصور والشئون الامكانية لا يرفع
المفاسد المترتبة على تقييد الذات بها في اي مقام كان ومما تقدم في تحقيق
من تنزيل الصفات على المرتبة الواحدية دون الذات دفعا للزوم التكثر فيها
انما هو على حسب درك العقول باعتبار اختلاف الانظار لا على ما هو في الواقع
واين هو من اختلاف الاطوار والصور الذي هو على حسب الواقع ونفس الامر
وتمثيلهم المقام بالواحد والعشرة بان لا حقيقة الا للواحد المتكرر والاحاد
كالزوجية ونحوها للعشرة يضعفه ان المقصود من المثال ان كان مفهومي
العشرة والواحد فهما متغايران حقيقة تغاير المركب لجزئه فان المتكرر جزء
العشرة كالواحد وان كان مصداقهما الخارجي فظاهر ان حقيقة كل واحد غير
حقيقة واحد اخر ومباين له في الصدق فلا يتحد حقايق الاحاد العشرة
باجمعها لحقيقة واحد منها فلا ينطبق المثال على المقصود الا ان يراد بالعشرة
اعيان الاحاد الخارجية وبالواحد مفهومه وقد علمت فيما قدمناه ان المفاهيم
ليس لها تحقق وتكثر في الخارج فكيف كان هو المحقق والاعيان الخارجية اعتبارية
ثم انهم استشهدوا واشاروا لقولهم ببعض الآيات والاخبار المتشابهة تنزيلا

لها

لها على ما يوافق مذهبهم من غير دلالة معتبرة عليه لغة او عرفا ومعارضتها النصوص
الصريحة واستظهروا واحتجوا بالكشف قال بعضهم انه مقتضى الكشف الكلي
والذوق التحقيقي الذي هو اكتحل به بصائرهم وعمي عنه غيرهم لعدم الفهم وقلة
الاستعداد فانه لا يفهم كلامهم الا امثالهم ولا يحمل عطايا بهم الا مطاياهم و
يقول شاعرهم علم التصوف علم ليس يعرفه الا اخو فطنة بالحق معروف
وليس يبصره من ليس يشهده وكيف يبصر ضوء الشمس مكفوف وامثال هذه
ولعمري ان مدعي الكشف ان كان صادقا فيه لو جعله كشفا كاذبا لكان اهون
عليه من تكذيب اجماع جميع العلماء الاعيان ونصوص ائمة الرحمن وصريح ال عباد
والوجدان وكيف يسوغ لنا العدول عن اهل بيت العصمة الذين هم المنهج القويم
والصراط المستقيم والباب الذي امرنا ان ناتي البيوت منه قال امير المؤمنين ع
لابن الكوا فيما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلم ان الله لو شاء لعرف العباد
نفسه ولكن جعلنا ابوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولايتنا
او فضل علينا غيرنا فانهم عن الصراط لناكبون اولا يتفكرون ان تلك
لو كانت حقا لما بخل عن ارشادها ائمتنا الذين نصبهم الله لهداية عباده وكانت
في اخبارهم المروية في كتب اصحابنا على كثرتها واشتهارها وانتشارها مع شدة
اهتمامهم في الرواية ونشر الاحاديث المروية عنهم صلوات الله عليهم تصريحات
وتلويحات بذلك على خواص شيعتهم كما في نظايرها من المعارف الغامضة و

والمطالب الحقيقية مع انه ليس منه في احاديثهم خبر ولا اثر ان هي الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله ولو خلت ان هذا
سر تحرفت وجب عليهم كتمانه ولذا لم يظهروه فلم كشفتم عنه واظهرتموا الخفو
وبالغتم في افشاعه واضاعته مشايخكم ورؤساؤكم في مقابل ائمتنا عليهم السلام حتى
ملأوا منه الدفاتر نظما ونثرا ونادوا به المحافل والمنابر علانية وجهرا الى ان
صار منهم هذا السر المكتوم المختوم ملعبا لعموم العوام ومسمرا لافواه الجهال يعامر وما
فيه تقليدا او توسلا الى مشتهيات نفوسهم الامارة اصحاب الهوى سيما من
اهل الظلم واشباه اعوان الديوان واصحاب الكباير والطغيان وجعلوا هذا
السر المكنون الذي كمن عن الاشعار به بزعمهم امناء الله وخلفائه شعارهم
بين الناس مضاربوا به فرقة متميزين عن العلماء والصلحاء وسموا انفسهم
الصوفية واستدلوا عليه ثالثة بوجوه عقلية عمدتها وجهان احدهما ان
الوجود المطلق المجرد عن كل شيء بشرط لا شيء واجب يمتنع عليه العدم لمناقضته
اياه ولا يشاركه غيره في الوجود لان غير الوجود عدم صرف اذ لا واسطة بين الوجود
والعدم فالوجود منحصر في الواجب المتبان والتعينات الامكانية شئونه و
تنزلاته وليس عدم الممكن من تبدل وجوده بالعدم لاستحالة انقلاب الشيء
بنقيضه بل هو انفكاك الوجود عن تعينه وتحينه وثانيهما ما ذكره بعض محققي
المتاخرين وهو ان بسيط الحقيقة كل الاشياء وبوحدته كل الامور لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة

ولا كبيرة الا احصاها واحاط بها الا ما هو من باب الاعدام والنقايص فانك اذا فرضت بسيطا
وقلت ليس بـ ب بحيثيته انه ج ان كان بعينها حيثية انه ب حتى تكون فانه بذاته
مصداق لهذا السلب فيكون الايجاب والسلب شيئا واحدا ولزم ان يكون من
عقل الانسان مثلا ليس بفرس ان يكون من عقل الانسان نفس عقله ليس بفرس
ولكن اللازم باطل فالملزوم كذلك فظهر وتحقق ان موضع الحيثية مغاير لموضع
انه ليس ب ولو بحسب الذهن فعلم ان موجودا سلب عنه امر وجودي فهو ليس
بسيط الحقيقة بل ذاته مركبة من جهتين جهة بها هو كذا وجهة بها هو ليس كذا
ويدفع الاول بان الوجود المطلق اللابشرط الذي تزعم انه واجب اما بقيد
الشرط او لا ان اخترت الاول يلزم على القول بالكيفية للذات وهي الصلاحية
للشرط فهذا وصف وجودي زائد عن الحقيقة فلزم التكثر الممتنع عن الازل
مضافا الى لزوم الاقتران والارتباط بين الحادث والقديم عند تحقق الشرط
وان اخترت الثاني فهو خلاف قولك مفسد ما قالك في التحقيق انه منزه عن
الاطلاق بانه قيد صلوحي لا ذكر له في الذات فلا اطلاق ولا تقييد ولا
ارتباط ولا اقتران ولا انفصال كل ذلك من خصايص الامكان وعوارض المحدثات
وهو ليس كمثله شيء منها لا مطلقها ولا مقيدها فكيف صح لنا الحكم عليه باثبات
احد الطرفين واني لنا ذلك وهو فوق مقام عقولنا وادراكنا والوجود المطلق
بالمعنى المذكور صنعه ومخلوقه واول ما ابدعه وشيء به الاشياء نعم صح لنا

اطلاق الوجود عليه بالمعنى العام الذي نعقله ونظهر به عندنا على حسب عقولنا
كما في اطلاق سائر صفاته الكمالية عليه فقولك لا واسطة بين الوجود والعدم
الامكانيان المضافان الى الصور والمهيات واسطتان وان اريد بهما صادقين الا
فالمجرد عنهما وهو الواجب والممتنع واسطة والثاني اولاً بالنقض بقولك
بسيط الحقيقة كل الاشياء ان اريد بالاشياء بما هي هي على اختلاف مهياتها
وحدودها فيلزمك القول بحيثيات غير محصورة في الذات لان كل مهية
غير اخرى مضاف الى لزوم كون المتحد للشيء مغايراً له كما لا يخفى وهو محال وان
اريد بما هي موجودة فصح نفي مهياتها عنه نعم فجاء حكم الاثبات والنفي وكثرة
الحيثيات في البسيط من جميع الجهات وثانياً بالحل وهو ان الاثبات
والنفي محل المثبت والنافي وهو يستلزم تعدد الحيثية في مفهومي النقيضين
على حسب دركه لا في الذات بما هي هي في الواقع فانها ليست الا هي لا ذكر لشيء
معه كما في اثبات الصفات المختلفة له كما تقدم بيانه فلا يلزم منه تعدد
الحيثية في الذات **نور** في الاشارة الى بعض ما يتعلق بعلم الواجب تعالى مجده
وهو من غوامض العلوم واصعب ما ورد على اصحاب الكلام فاعلم ان العلم
معناه ادراك المعلوم باستشعاره فلا يكفي مجرد حضوره عند العالم ولذا
لا يصدق على غير ذوي الشعور وهو من الكيفيات والاحوال النفسية والافعال
القلبية ولا ينفك عن الاضافة الى المتعلق وقد يطلق ويراد به ما هو مبدأ هذا

الادراك ومنشاه كما يقال فلان عالم بالفقه اي له الملكة القريبة لاستحضار
مسائله والاقتدار على استنباطها من ماخذها فيراد بالعلم ما هو الباعث على انكشاف
المعلوم نظير ما اصطلحوا عليه من العقل بالفعل المتوسط بين العقل بالملكة
والعقل المستفاد وهذا المعنى لا يعتبر في صدقه حضور المعلوم عند العالم
لا ذكره في نفسه بالفعل وهو من قبيل اطلاق السميع على من له قوة السمع
ان لم يكن هناك صوت مسموع واطلاق المضيء على الشمس وان لم يكن جسم
كثيف يستضاء بها وقد يطلق بالنسبة على الصورة الحاضرة في الذهن كما شاع
تفسيره بها وفي هذا وقع الخلاف المعروف عن ان العلم هل هو نفس
المعلوم وبعضه غيره كما في المشائين وهذا المعنى قريب من الاول بل بلا زمان
فان درك الشيء لا يتحقق الا بحصول صورته الحسية او العقلية في ذهن العالم
وحيث حصلت فيه لم يخف دركه الذاهن ثم ان العلم اذا نسب اليه تعالى
قد يراد به المعنى المجرد عن اعتبار المعلوم فيه اي المعنى الثاني وقد يراد به المعنى
المقترن اما الاول فهو المقصود من العلم الذاتي الفعلي الذي هو عين ذاته
فلا يعرف حقيقته ولا يدرك ولا يكيف انما هو وزان الذات كما انه في الممكن
الهيئة الراسخة والملكة الباعثة على استحضار صورة المعلوم وحيث انه عين
الذات في الله تعالى فلا ذكر للمعلوم فيه وان الذات سابق عليه وكل شيء هالك
عندها وهو ما اشار اليه مولانا الصادق عليه السلام لم يزل الله عز وجل والعلم ذاته

اذ لا معلوم الى قوله فلما احدث الاشياء وقع العلم منه على المعلوم الحديث ومراده
من العلم الثاني غير الذاتي المشار اليه في الاول بل هو اثره ضرورة ان ذاته سبحانه
لا يقع من الذات على المعلوم ولا يتحول من حال الى اخر فهو كما اشرنا اليه مثل الكلام
السميع عليك اذ لا صوت فاذا وجد وقع السمع الذي هو فعلك واثر قوتك
السامعة عليه ونحو ما في الشمس منيرة اذ لا مستنير فاذا وجد وقع الشمس عليه
اي نورها لا عينها وبالجملة رتبة الذات منزهة عن ذكر ما سواها حتى ان في
حديث عمران الصابي نفى مولانا الرضا عليه السلام علمه تعالى بنفسه لاستدعائه ذكر
الغير قال عمران يا سيدي هل كان الكائن اي المبدأ الاول معلوما في نفسه عند نفسه
فاجاب عليه السلام انما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه
موجودا ولم يكن هناك شيء يخالفه فيدعوه الحاجة الى نفي ذلك الشيء عن نفسه
بتحديد ما علم منها افهمت يا عمران قال نعم والله يا سيدي انتهى ما اردناه وهو
العلم المخزون الذي صدر عن مشكوة النبوة بيانه ان علم الشيء بنفسه يعني
ان يتحقق الا بوجود غير حتى يكون بنفي ذلك الغير عن نفسه معلوما عند نفسه
والى هذا يشير ما يحكى عن بعض المحققين من انه يصح انا اذا كان هناك انت او هو
مع ان علم الشيء بنفسه يستلزم تعدد الجهة وتكثر الحيثية المستحيل في الواجب
القديم فعلمه بذاته ليس معناه الا ذاته من غير تغاير ولو اعتبارا واما الثاني
اي العلم المقترن المنتسب اليه عز وجل كقوله تعالى الا انه بكل شيء عليم ولا يعزب

عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء فيمتنع كونه عين الذات للزوم
التكثر او معها في الازل لتعدد القدماء بل هو حضور صور الاشياء عنده
كل في رتبة نفسه والمراد بادراكه تعالى اياها ليس على معنى حدوث كيفية فيه
لم يكن له قبل حضورها فانتقل من حالة الى اخرى كما هو شاننا بل هو على
قياس اطلاق مفاهيم سائر الصفات عليه تعالى على الوجه الذي حققناه
وحاصله ظهور اثاره عنه في الحدوث كما هو في اطلاق الغضب والرضا والحب
والكراهة ونحوها عليه سبحانه والاطلاق مبني على مقتضى درك عقولنا
بحسب كينونتها الا على ما عليه سبحانه في مقام ذاته المنزه عن الكيف الذي
لا يعرف ولا يتصور شيء ثم ان كيفية حضور صور الاشياء العلمية عنده
قبل خلقها الذي هو شرط صدق العلم بها الذي لا يصح سلبه عنه تعالى مطلقا
على حد سائر الصفات الذاتية الكمالية من اصعب ما ورد على العلماء حتى ضلت
فيها عقول كثير من الحكماء الروس وعظماء الحكمة والناموس واختلف المذاهب
في كون علمه بها حصوليا صوريا اي بحصول صور الاشياء في ذاته سبحانه او في
او في شيء من مبدعاته او بقيامها بذاتها او بطريق ثبوت المعدومات او الاحوال
المتوسطة بين الوجود والعدم او حضوريا والتحقيق فيه ان الصور العلمية
كما علمت ليست عين الذات ولا مع الذات ولا هي من المعدومات الثابتة
لانها محدودة بصور معينة وكل محدود موجود فان الوجود اول الحوادث

اقدمها ولا من الاحوال المتوسطة ضرورة بطلان الواسطة بين الوجود والعدم
فلا بد ان يكون هذا العلم المقترن راجعا الى فعله سبحانه في الحدوث فكان
متعلقا به من الصور الامكانية مجعولة له لا انها حاضرة عنده دائمة
بمعنى ان لا اول لها غير حادثة في ذاته لاستحالة كونها محل الحوادث بل في
ملكه على ما سننبه عليه ويبين الجملة ذلك كلام مولانا الرضا عليه السلام
في حديث عمران المشار اليه حيث سأله عمران بقوله فاخبرني باي شيء علم
ما علم أبضمير ام بصورة ام بغير ذلك فقال ع اذا علم بضمير هل تجد بدا من
ان تجعل لذلك الضمير حدا ينتهي اليه المعرفة قال عمران لا بد من ذلك قال
فما ذلك الضمير فلم يحر جوابا الى ان قال يا عمران اليس ينبغي ان يعلم ان الواحد ليس
يوصف بضمير وليس يقال اكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه مذاهب وتجزئة
كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم فاعقل وابن عليه ما علمت صوابا انتهى وما افاده ع
وعقبه بهذا البيان فيما يبتني عليه من التحقيق في المعرفة منتهى الحكمة وفيه اشارات
الى اسرار محجوبة لمن كان من اهلها ويكفيك المؤونة من انظار السابقين وافكار
اللاحقين فانه ع ابطل العلم الصوري اولا في جواب السائل بان تلك الصورة
لا بد ان تكون محدودة ينتهي معرفتنا الى هذا الحد لانه صورة لشيء محدود بل لو
لم تكن محدودة لم تكن صورة واذا كانت محدودة واحاطت بها المعرفة كانت
موجودة فلا يكون من المعدومات ولا من الاحوال المتوسطة بل هي اما واجبة

فيلزم

فيلزم تعدد القدماء او ممكنة فيكون سبحانه محل الحوادث واذا بطلت تلك
الآراء والاحتمالات اخذ في بيان ما هو الواقع بقوله اليس ينبغي ان يعلم ان
الواحد ليس يوصف بضمير وليس يقال اكثر من فعل وعمل وصنع فبين ان هذا
العلم تعين ان يكون من فعله اذ لا ثالث للحق وفعله واشار الى ان هذا منتهى
الفعل في تلك المسألة العظيمة الذي يجب على كل مؤمن ان يؤمن به منتهاه و
كمال عنايته بالاعتقاد به قال مخاطبا للسائل فاعقل وابن عليه ما علمت
صوابا وهذا الكلام الوجيز الذي هو ينبوع الحكمة يرشدنا الى ان علمه المتعلق
بالاشياء ليس عين ذاته دائما بان نسبة هذا العلم المتعلق اليه تعالى ليست على
معنى نسبته الى المخلوقين من كونه كيفية وحالة عارضة له فيكون من صفاته
تعالى عن التكيف بخلقه بل هي على نسبة الفعل الى الفاعل بمعنى انه اثره في الحدوث
يحكي عن الذات من جهة كونها مبدءا لهذا الاثر وهو كماله الذاتي الذي هو عين
ذاته ولا يمكننا معرفته الا بهذا الطريق وثانيا بان فعله تعالى ليس على حد
افعال المخلوقين المقترنة للتروي والتصور والتفكر والعزم والارادة
فعله من حيث صدوره عنه كذاته مجهول الكنه لا كيف له كما لا كيف لذاته فلا
تدركه الاوهام ولا ذكر للمعلومات ولا يحيط به المعرفة ولا ينبغي اكثر من ان يقال
فعل وصنع وبالجملة فهذا الحديث دل على ان علمه المقترن بالمعلوم ليس عين
ذاته ولا هو صورة علمية في ذاته بل هو فعله وعدا عليه ايضا الحديث المتقدم

لم يزل الله ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم الى ان قال فلما احدث الاشياء
وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم مما علمنا ان ليس المراد بالعلم الواقع
من الذات على المعلوم بعد حدوثه هو الذات بل هو اثره واصرح منه ما
قاله الصادق عليه السلم فيما سئل عنه فقلت لم يزل الله يعلم قال انى يكون
يعلم ولا معلوم قلت فلم يزل الله يسمع قال انى يكون ذلك ولا مسموع قال
قلت فلم يزل الله بصيرا قال انى يكون ذلك ولا مسموع قال فقلت مبصر
ثم قال لم يزل عليما سميعا بصيرا ذات علامة بصيرة **تنبيه عرفاني** لعلك
تختلج ببالك ان الاضافة اذا كانت داخلة في حقيقة العلم الاضافي وهي
حادثة بحدوث المضاف اليه فيكون علمه بالاشياء ايضا كذلك ويكون
جاهلا قبله ويحول عن حال الى اخر تعالى الله عن ذلك ومع هذا ينافي الاخبار
المستفيضة المصرحة بان ليس علمه بالاشياء كقوله عم لم يزل الله عالما بما يكون
فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه وقوله عم لم يزل الله عالما بالاشياء
قبل ان يخلق الاشياء كعلمه بالاشياء بعد ما خلق الاشياء وهو توهم باطل لانه
من البديهي ان المعلوم لا ينفك عن العلم المتعلق به والا ناقض نفسه فان
اردت بالحدوث المستجلب لك الحدوث المقابل للقدم فلا عجب بل توهم خلافه
من اعجب العجاب وهل هو الا دخول الحادث في القديم وذكر الحدوث في الازل
وبنا في صريح الاخبار المتقدمة وغيرها وان اردت الحدوث المقابل للعدم

المسبوق الى

الى المسبوق به فهو غير وارد لان معلوماته سبحانه هي صور الامكان وهي مجعولة
قبل الازمان وامتداد الاوقات فلا يسبقها امتداد كانت غير معدومة فيه بينها
وبين الله تعالى عدم حاضر متصل طرفاه بها الان هذا وصف وجودي لا يوصف به
اللاشيء المحض والليس المطلق كما نفصله في الباب الاتي فعنى كونه حادثا ان لا
اول له سوى موجده وهو تعالى قبله لا بقبلية زائدة هي من صفات الامكان بل بذاته
الممتنعة عن ذكر شيء في رتبتها على كونها مبدءا وقيوما له ومن هذا يظهر ان المراد
بقوله عم لم يزل الله عالما بالاشياء قبل ان يخلق الاشياء وما في معناه من الاخبار
المتقدمة ما لا يسبقه العدم ولا اول له غير خالقه لا ما يرادف القدم وقد
يعبر عن ذلك بالاولية الثابتة كما في المروي عن مولانا امير المؤمنين عم انا الاولية
الثابتة وبهذا يجمع بينه وبين الاخبار النافية عن اضافة العلم بالمعلوم في
الازل وكفى شاهدا لهذا الجمع ما سمعت من كلام الصادق عم فيما سئل عنه فقلت
لم يزل الله يعلم قال انى يكون يعلم ولا معلوم الى قوله لم يزل الله عليما فتفطن
مكاشفة معلوماته سبحانه قسمان **احدهما** الحقايق الامكانية وصور
القابليات التي ستعلم انها مجعولة دفعة ابدية غير زمانية بمشيته في الذكر
الاول قبل خلق اكوانها واعيانها وهذه لا يسبقها عدم ولا اول لها سوى
موجدها وجاعلها **وثانيهما** الكونات التي خلقها الله تعالى مترتبة في التقدم
والتاخر في نسبة بعضها الى البعض وهذه كلها حاضرة عنده في الان ازلا وابدا

مع ما فيهما من اوقاتها المترتبة وامكنتها المختلفة وجهاتها المتشتتة لاحاطته
سبحانه بما لم يزل بما لا يزال ولا يشغله زمان عن زمان ولم يحجبه مكان عن
مكان لا يستدبر وقتا ولا يستقبل اخر بل هو محيط بكل الازمان احاطة
سرمدية اذ هو ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة انهم يرونه بعيدا و
نريه قريبا وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر كما تقرر فيما مر فهو عز وجل
لم يزل مالكا للملك قائما عليه عالما بخلقه وان اختلفت حالات المكونات فيما
قبل كونها وبعده بالنسبة الى انفسها ومن هو مثلها وهذا معنى قوله ع كان
عالما بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها **الباب الرابع** في فعله ع
وكيفية توحيده وبعض ما يتعلق بذلك **نقول** ان الله عز وجل ابدع ما ابدع
في الذكر الاول ولا صورة له عنده ولا ذكر لشيء قبله لان قبل الابداع
هو ولا شيء سواه فلو كان عنده غيره كان لا بابداع فيتعدد القديم فالابداع
الاول تاسيس ما ليس بلا احتذاء مثال ولا سبق ضمير ولا من شيء ولا في
شيء فهو واحد بسيط غير متعين بصورة خاصة ولا محدود بحد مخصوص لا حد
له غير حد الامكان المبهم العام بمعنى انه بحيث يتقيد به كل موجود متعين اذ لو كان
له حد خاص وجهة مخصوصة فلا بد للخصوصية من مرجح نظرا الى امكانها و
استحالة وجود الممكن لا عن مرجح وليس هو الذات لتعاليها عن جهة نسبة مخصوصة
اليها ولا شيء اخر قبل الابداع حتى كان هو المرجح فهو الايس المطلق والوجود

الانبساطي

الانبساطي الذي به تكثرت الجهات في الامكان والاكوان وهو بعينه مشية
الله وارادته واختراعه قال مولانا الرضا ع اسماؤها ثلثة ومعانيها واحد
وقال مولانا الكاظم ع الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك
من الفعل واما من الله فارادته احداثه لا غير ذلك واختلاف الاسماء باختلاف
الاعتبارات فيسمى فعلا من حيث كونه ظهور الحق لغيره وموصل فيضه الى ما يريد
وابداعا واختراعا على اختلاف يسير بينهما من حيث انه لا من شيء ولا من احتذاء
ومثال ومشية من حيث تشيئت به الاشياء وتاصلت وارادة من حيث كونه
مبدء الصور والاعيان والذكر الاول كما في الخبر المشية هي الذكر الاول من حيث
كونه اول ما ذكر في الخلق ومفعولا من حيث كونه صادرا عنه سبحانه وتنبيه على
اسماء اخر له من الاخبار وحيث انه غير محدود بحد خاص ينتهي اليه فلا يحيط
به الوهم ولا يعرف حقيقته مع انه اظهر الاشياء ومظهرها والى ذلك يشير
كلام مولانا الرضا ع في الحديث الاتي بقوله في صفة الصادر الاول منفي
عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور **تنبيه** تنبيه
كما لا سبيل الى معرفة حقيقة الصادر الاول كذا لا يعرف كيفية صدوره عنه
سبحانه ولا صدور مطلق افعاله اذ ليس فعله كفعل الخلق يسبقه ضمير وتروي
وبعث عزم ومثال بل لا كيف لفعله كما لا كيف لذاته كما قال الامام ع فكيف
يمكن معرفته ولا يمكن ان يقال اكثر من فعل وصنع وعمل كما قال الرضا ع فالكلام في

هذا الجمال وتوجهه بالتخيلات وهم وضلال اذا بلغ الامر الى الله فامسكوا
نور تلك الذات النزيهة لما كانت حقيقة نورية اذ لا نور اظهر من الوجود
ولا ظلمة اخفى من العدم والنور ظاهر في نفسه مظهر لغيره فلزم ان يكون
هو منشأ ظهور الاشياء وبه اظهر الله الحقايق والاكوان ولذا ورد ان
الله خلق الاشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها فحيث ابدعها الله ملئت
الامكان الذي لا يتناهى وظهرت به الصور على وجه الامكان من العقل الكلي
الى الهيولى وما تحت الثرى وما بينهما من الحقايق والهويات وما يلزمها ويلحقها
من الجهات والاقتضاءات والتركيبات والتطورات دفعة لعدم توقف
ذكرها على شرايط واسباب وترتيب وتساوق الجميع في رتبة الامكان الذاتي
التي حصلت به فلا تقدم لبعضها في هذا الوجود الصلوحي والذكر الامكاني
على بعض **وايضا** تعلق هذا الوجود المنفصل بحد مخصوص في الكون الخارجي
لا بد له من مرجح ونسبته من حيث هو الى جميع الحدود على السواء اذ لا مشاركة منها
في شيء ولا ذكر لمرجح يعطف الوجود فلا بد من تكوين المشخصات من ذكر الحدود
ومرجحاتها قبل كونها حتى ينزل الامر بما يقتضيه **وايضا** حصول التكميل التكويني
وظهور الربوبية المقصود من صنع العالم يستدعي الترتيبات الخلقية والتطورات
الكونية والتغيرات الوجودية وهي يستدعي ذكر الاقتضاءات والروابط
المتممات قبل الخلق حتى خلق كل شيء في وقته ومكانه عند اجتماع شروطه و

اسبابه وقيوده **وايضا** الايجاد لما كان فعلا متعديا الى القابل لزم في تعلق
التكوين وحصول الفعل والانفعال ذكر القوابل والمهيات فتبين من جميع ذلك
ان في صنع العالم لزم ذكر القوابل والجهات وجعل المهيات قبل ايجادها في
الكون وحيث ان نسبة الامكان الى الجميع نسبة واحدة كما عرفت فكلها مذكورة
باشراق نور المشية دفعة ابتدائية غير زمانية حسبما ستعرف ثم يتنزل الخلق في الاكوان
متدرجا على حسب ما ثبت في لوح تلك الذات المقدسة في الذكر الاول وهو ما
اشار اليه تع بقوله وما من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر
معلوم وتلك الحقايق هي صور معلوماته سبحانه التي هي قبل كونها كما في
الاخبار الناطقة بانه تع علم الاشياء قبل كونها كما اشرنا اليه وكفاك بهذا
دليلا على صدق ما ذكرناه من ذكر الاشياء قبل خلقها في لوح ذات المبدع الاول
وفي روايات كثيرة اخرى تلويحات واشارات اليه كما في حديث القدر
المروي في توحيد الصدوق عن مولانا امير المؤمنين ع قال ان القدر بحر زاخر
مواج خالص لله عز وجل لا يطلع عليه غيره عمقه ما بين السماء والارض عرضه
ما بين المشرق والمغرب اسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان يعلو مرة و
يسفل اخرى وفي قعره شمس تضيء لا ينبغي لاحد ان يطلع عليها الا الواحد الفرد
فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه وسلطانه وكشف عن ستره وباء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فان الظاهر ان المراد بالشمس التي في قعره

هذا البحر المشية التي هي عبارة عن الوجود الاطلاقي الذي ظهرت به صور الممكنات
من غسق العدم وظلمة الليس المطلق وحسبانها القوابل الصافية النورية وجعل
ظلالها واضدادها القوابل الردية الظلمانية ولا يحيط بهذا البحر احد الا
الله لانه مقام الالوهية وظهور العلم المتعلق بالاشياء الذي لا نهاية له
فلا يشاركه غيره كيف والا لزم الفناء عنه تعالى في الامدادات وينافي قوله
رب زدني علما فان الاستزادة مع الحصول تحصيل الحاصل فهو العلم الغيب
المتفرد به سبحانه ومعلوماته هي المذكورات بالذكر الاول الذي هو المشية
كما قال الرضا عليه السلام ما المشية قال لا قال هي الذكر الاول ويحتمل ان ذكر
لنا بعد ما ذكرناه ما نقل عن الحكيم الفاضل ثاليس الملطي وهو اول من تفلسف
من الملطية قال ان المبدع ولا شيء مبدع فابدع ما ابدع ولا صورة له عنده
في الذات لان قبل الابداع انما هو فقط فليس يقال ح جهة وجهة حتى يكون
هو والصورة او حيث وحيث حتى يكون ذا صورة والوحدة الخالصة تنافي
هذين الوجهين والابداع تاسيس الشيء ما ليس بشيء فاذا كان مؤيس الايسات
فالتاييس لا من شيء متقدم فمؤيس الاشياء لا يحتاج الى ان يكون عنده صورة
الايس بالايسية لكنه عند العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات
كلها فانبعث منه كل صورة موجودة في العالم على المثال الذي في العنصر الاول
وهو محل الصور ومنبع الموجودات وما من موجود في العالم العقلي والعالم الحسي

الا وفي ذات هذا العنصر صورة ومثال منه انتهى كلمة صادقية رواها ثقة
الاسلام في جامعة الكافي والصدوق في التوحيد مسندا عن مولانا الصادق ع
قال ان الله تعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت وباللفظ غير منطق وبالشخص
غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار مبعد
عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على اربعة
اجزاء معا ليس منها واحد قبل الاخر فاظهر منها ثلثة اسماء لفاقة الخلق اليها
وحجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء وفي رواية التوحيد
بهذه الاسماء بالباء التي ظهرت فالظاهر هو الله وسخر سبحانه لكل اسم من هذه
الاسماء اربعة اركان فذلك اثنا عشر ركنا ثم خلق لكل ركن منها ثلثين اسما
فعلا منسوبا اليها فهو الرحمن الرحيم ثم احصى علة كثيرة من اسمائه الحسنى الحديث
فالظاهر ان هذا الحديث الشريف النبوي لا يبلغ الى كنه اسراره غير خلص منهم
فيه اشارات الى ما قلناه فالمراد بالكلمة التامة التي ليس لها حدود واقطار في
الجهات ولا يبلغ مدارك الافهام هو اول ما ابتدع اعني الوجود الاطلاقي
المجرد عن الحدود وكونها تامة لعله اشارة الى كونه في كماله بما هو عليه فعلا
محضا خاليا عن القوة والاستعداد او اشارة الى احاطته بجميع مراتب الامكان
وكليات تلك المراتب التي احاطت به اربعة ثلثة منها ما يفتقر اليه الخلق
في مبدا صعودهم ومنزلهم في التكوين والتشريع بحيث لولاه بطل النظام

وفي العوالم الثلثة اعني المجردات الخالصة عن المواد والصور والماديات المقترنة
اليها والمثال البرزخ بينهما الفاقد للمادة دون الصورة والجزء الرابع المخزون
المخزون هو وجهه الى صدقه من حيث صدوره عنه المحجوب عن العقول كما ذكرت
على خلاف الاجزاء الثلثة فهذا وجهه الى الخلق وكونه مكنونا بهذه الاسماء
الثلثة لعله لما علمت فيما تقدم ان الخلق بنفسه وكينونته حجاب الحق فهو
محجب ومستور بنفس الحقايق الامكانية وقوله ع فالظاهر هو الله اشارة الى
ان تلك الحقايق مظاهر الصفات ومقام ظهور الالوهية ورتبة
الواحدية كما اشرنا ونشير اليه وقوله ع وسخر لكل اسم من هذه الاسماء اربعة
اركان لعل المراد بها ما عليه مدار الصعود والعروج في مراتب الكمال وهي الكون
والحيوة والرزق والعلم كما قالوا انه وكلها اربعة املاك عزرائيل واسرافيل
وميكائيل وجبرائيل ووجهه ان حصول الكمال لكل شيء على حسبه يتوقف على
خلع صورة الناقصة وهو الاماتة وفعل الاول والانتقال الى صورة اكمل
وهو الاحياء وفعل الثاني واعطاء الغذاء المناسب لكل شيء والنماء على
قدر معين وميزان معلوم لحصول استعداد الدرجة اللاحقة وهو الرزق
وفعل الثالث والوحي والتعليم والارشاد لطريق العمل لتحصيل الاستعداد
المعد للكمال في التشريعات وهو فعل الرابع نور وحيث ان الله تعالى
كان لا في زمان ولا في مكان ولم يكن معه شيء فكان احداثه بهذا الصانع

هو المعين

البديع لا في زمان ولا الاسم الامر الى احد فما سوى الله لم يكن قبل كونه ثم كون
ولا لكونه قبل اصلا فكان قديما بحت فوجود العالم انما هو بعد عدمه
الذاتي اي الذي له من ذاته لا هو من سبق عدم امتدادي اذ لو كان عن
عدم فهذا العدم اما في زمان سابق فيتسلسل الى احد فيلزم تعدد القدماء
او تكثر البسيط في ذاته اولا في زمان بل كان العدم نفسه بعد الله سبحانه
وقبل وجود العالم متوسطا بينهما فاصلا لكل واحد منهما عن صاحبه فيمنع ما
يلزمه من محالات ظاهرة فهذا المتوسط اما ثابت في الخارج من غير فرض
يناقض نفسه اذ العدم ليس شيئا ان هو الا سلب الوجود وليس محض
او ليس ثابتا في نفسه بل منتزعا من شيء فالمتوسط هو الشيء المنتزع منه فان
كان ذات الله او العالم نفسه فكيف يتوسط الشيء بين نفسه وبين غيره
وان كان العدم نفسه فليس شيئا ينتزع منه ومتوسطا بين شيئين واقع
فالذي ينتزعه اما غير الله فمن ذا غيره حين لا شيء غيره واما الله تع فكيف
ينتزع منه العدم وتريثم به وقولنا كان وحين واما لهما في هذا المقام
بالنسبة الى وجوده تع انما هي مجازات تستعاد بها لتفهيم المعنى لبث حقايق
يراد بها ظروف مقر ومثل الزمان في انتفائه قبل العالم محققا وموهوما
المكان فليس بينه تع وبين خلقه فراغا واسعا فاصلا بينهما يسمى بالازل
لانه ان كان عدما فلا شيء وان كان شيئا فيمتنع شركته للقديم فالازل ليس

الا ذاته فانه لا فصل ولا وصل ولا تناهي ولا عدم تناهي ولا اولية ولا قبلية
هناك بوجه اصلا فان كل ذلك صنعه ثم محدثة لا تجري عليه تبصرة
ومن هذا علم ان العالم واعني به ما سوى الله ليس قديما في الزمان ولا حادثا
فيه بل هو مبدع من غير زمان ومعنى حدوثه كونه مخلوقا محتاجا تعلق به
الاحداث والقديم في مقابله هو الغني الغير المخلوق وفي اخبار اهل
العصمة اشارات الى هذا المعنى بل ليس في شيء منها اكثر منه ومما دل على
ذلك حجة رسول الله صلى الله عليه وآله على الدهرية اذ قال لهم هذا الذي
نشاهده من الاشياء بعضها الى بعض يفتقر لانه لا قوام للبعض الا بما يتصل
به كما ترى البناء محتاجا بعض اجزائه الى بعض والا لم يتسق ولم يستحكم
وكذلك سائر ما ترى فاذا كان هذا المحتاج بعضه الى بعض لقوته وتمامه
هو القديم فاخبروني ان لو كان محدثا كيف كان وماذا كانت صفته وبعكسه
انها حجة بالغة صدرت عن مصدق معدن النبوة فمن قال بالحدوث الزماني
بالمعنى المتفاهم عند عرف العوام فقد اغتر بظاهر اللفظ من غير تصور المعنى
والتدبر في حقيقته وما يلزمه من المفاسد العظيمة وهل لا يلزمه كونه
تعالى مع امتداد زماني او فيه تعالى ويذهب الى ما لا بداية له قبل ايجاد
العالم والتخلص عنه بجعله مقدارا موهوما ينتزع من استمرار وجود
الواجب او من استمرار امتناع عدمه المنتزع من استمرار وجوب وجوده

مجرد

مجرد لفظ لا يعني شيئا كيف وهذا المقدار ان كان شيئا فعليه ما على كونه
محققا وان لم يكن شيئا محققا بل فرضيا فمن الفارض اهو الله سبحانه فيتم
فيه مقدار الزمان مع انه لا ذكر لشيء ثمة ولا هو محل الحوادث وان
كان غيره فمن كان حين لا شيء غيره وكيف يمكن فرض شيء احاط على الله سبحانه
وهو بكل شيء محيط نور قد شاع بين الحكماء ان الواحد لا يصدر عنه
الا الواحد وسماه بعضهم اصلا اصيلا وبنوا عليه كثيرا من مسائلهم
واثبتوا به البسائط والعقول العشرة والعلل الفاعلية واستدلوا
عليه بانه لا يصدر شيء عن شيء من حيث هما متغايران ومن جهة المباينة
وهو ضروري مع انه لزمه ان يصدر كل شيء عن كل شيء بل من حيث هما
متناسبان فالاحدية الذات لا يصدر عنه الكثرة والا لزم تكثر الجهات
في الذات وبعبارة اخرى لفاعل آ مثلا لا بد في ذاته امرا مناسبا مخصصا
لصدوره عنه دون ما عداه فاذا فرضنا انه يصدر منه معلول آخر
هو ب فهو اما العين تلك المناسبة الذاتية الاولى وهو ممتنع والا لزم ان
يكون ب هو آ بالضرورة او لغير تلك المناسبة فيلزم التركيب من المناسبتين
بالذات وقد فرضناه بسيطا محضا واحدا هذا خلف وانت خبير بان
هذا المحذور على التقريب المذكور يرد على كون المعلول واحدا ايضا
لان التناسب لا يتحقق الا بالاشتراك في جزء او صفة والا لزم كون

المغاير بما هو مغاير مناسبا بفعله لكان صدور المعلول عنه سبحانه مبنيا عليه
كما تدعوه لزومه جهة تباين ابدا تحقيقا للتماير ولا تعتبر فلزم التكثر في
الذات المستلزم في الاول فتحقيق المقام ان ابطال تلك المحذورات وبناء
الاستدلال عليها مبني على قياس فعل الواجب على الممكن وهو خبط فاحش
ليس كمثله شيء وكيف يقاس فعل من لا كيف لفعله كما عرفت فلا يعرف حقيقة
صدوره عنه على ما هو معروف الصدور لنا بالرجوع الى انفسنا ولا يمكن
ان يوجد في الواجب الا انه فعل وصنع كما قال الرضا ع وهو يقول في كتابه
لا يشغله شان عن شان وفي الخبر لا يشغله خلق شيء عن خلق شيء وبالجملة
فمن القول بما عرفت انه لا مناسبة بين الله وبين ما سواه ولا مباينة ولا اتصال
ولا انفصال ولا اقتران ولا افتراق الى غير ذلك من الامور المتضادة كل
ذلك صفات الحادثة المحدثين واين هو من رب العزة جاعلها وخالقها
نعم لما كان من الضروريات حاجة الممكن في وجوده الى المرجح فالصادر
الاول يمتنع ان يكون لاحد مخصوص لما بيناه من ان الخصوصية ممكنة تحتاج الى
المرجح والذات البسيطة منزهة عن اقتران جهة الترجيح ولا شيء اخر قبل
الابداع من جهة وحيثية وصورة توجيه فلزم ان يكون الابداع الاول
تاسيس الشيء ولكن ما ليس بشيء الا في شيء ولا من شيء ولا على حد خاص و
جهة مخصوصة ولكن كان به تكثرت الجهات والحدود الى ما لا نهاية له

على نسبة

على نسبة واحدة اليه لا في الامكان كما ذكر مفصلا ومدللا ومعضدا بظواهر
القران والاخبار فهذا الاصل المعروف بينهم ان نزل على المعنى الذي ذكرناه
فله وجه ولكن لا يتفرع عليه ما اثبتوا به من البسائط والعقول العشرة
والعلل الفاعلية وعدم صدور الافاعيل المتكثرة عنه تعالى بعد تكثر الجهات
والاقتضاءات في لوح المبدع الاول وهو ام الكتاب الذكر الحكيم واللوح
المحفوظ عن التبدل والتغير والا فباطل ما صنعوا والله على ما نقول شهيد
حيث يخبر عن فعل نفسه في كتابه المجيد يفعل ما يشاء ويفعل ما يريد
واذ علمت ان الابداع الاول المعبر عنه بالمشية هو الوجود الانبساطي
الاطلاقي وانه محل الصور بما لا يتناهى حيث هو الامكان بالذكر الاول
ومنبع الموجودات بالذكر الثاني حيث خلق الله به الاعيان في الكون على حسب
شرائطها وعللها في اوقاتها وامكنتها على ما امكن في الذكر الاول كما علمت
في باب الصفات من انها في رتبة الحدوث فهو عند ابداع هذا النور حيث انه
مقام ظهور الصفات وكمالات الذات وتجليات الاسماء على حسب مراتب
الشئون والافهام وهي رتبة الواحدية المنزلة على الاحدية اذ يراد بالصقع
ظهور الذات بموصوفية احد المعاني الكمالية وهو هذا النور الشارق من
صبح الازل فالمعاني محال ظهورات الصفات وايات الله في الافاق والانفس
وكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر واذا كان توحيده لقوم معرفته

بها وقد يطلق الاسماء في الاخبار على تلك المعاني والمسمى هو الذات وحيث
كان هذا النور هو علمه الذي احاط بكل شيء الى ما لا نهاية له من الصور
الامكانية وقوابل الامكان التي هي الصور العلمية والاعيان الثابتة الحاضرة
لديه والاعيان الكونية منها المتعاقبة المترتبة في الوجود هي ملكه الخاص عنده
قبل انشائه كما قال الامام ع بقوله لا كان خلوا من الملك قبل انشائه
ولا خلوا منه بعد ذهابه لما علمنا ان جميع العالم واحوال الدرج في ايقاعه على
بعض على بعض حاضر لديه من ابتداء وجوده الى فناء حدوده حضورا ابا
ازليا ابديا غير موقت عنده بوقت يترتب حيث لا يفقده شيء في وقت جده
في آخر فيجعله بحال زائدة بل هو محيط في الآن بالازل والابد والاشياء موجودة
عنده في ملكه وملكوته اذ لا عنده اولية واخرية وهو معنى قول النبي ص جف
القلم بما هو كائن فالقبلية والبعدية راجعة الينا واما الله سبحانه فهو
محيط على الكل في ازل الآزال انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا فلا ينافي
هذا الجفاف جريان القلم وبطشه بنسبة بعضها الى بعض وتغير المقدرات
فان التبديل والمبدل منه من العالم ايضا احاط به في الازل بشرائطه واسبابه
ولذا قال الصادق ع الدعاء من القدر وبالجملة وهذا المبدع الاول هو رحمته
التي وسعت كل شيء وقدرته التي غلبت كل شيء وقوته التي لا يقوم لها شيء
وعظمته التي ملأت كل شيء وسلطانه الذي علا كل شيء الى آخر الاسماء وهذه

الصفات

الصفات كلها ينتهي الى تلك المشية وينقطع دونها والمشية الى نفسها كما ذكر
مكررا فانتهى المخلوق الى مثله والجاء الطلب الى شكله السبيل مسدود والطلب
مردود ودام الملك في الملك والقديم وحده لا شريك له لا اثنية ولا اقتران
في صقع الذات ازلا وابدا **تتميم** تلك الذات الشريفة يطلق عليها
اسماء اخرى ايضا في كلمات اهل العصمة فيعبر عنها تارة بالكلمة التامة والاسم
الاعظم باعتبار دلالته على جميع المعاني الكمالية وشموله لمدلولات كل اسم
خاص واخص واشتقاقها منه والمسمى هو الذات المقصود بالتعبير عنه اشارة
فيطابق لفظ الله في اطلاقها على الذات ويعبر عنها اخرى بوجه الله الباقي
بعد فناء كل شيء اذ به يعرفه من عرفه ويستحيل فناؤه بل وفناء ما ذكر من
الامكان فانه يمنع انقطاعه ايضا لاستحالة تبدله بالنسيان واختلافه بالزيادة
والنقصان فهو ثابت الوجود دائم البقاء مأمون عن العدم والفناء بخلاف الوجود
الكوني في الذكر الثاني فانه جائز البقاء لامكان فسخ قيوده وارتفاع حدوده
بانعدام اسبابه وعلله فعدمه في الكون وعاد الى ذكره الاول ويعبر عنها
ايضا بالشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية لتجردها عن الجهات والاقطار و
اول غصن صدر في الوجود الكوني من تلك الشجرة العلم وهو العقل الكلي
ويسمى ايضا ماء لان الماء كل شيء حي وسحابا متراكما لنزوله الى الارض الميتة
وهي ارض القابليات وامرا لكونه حكم الله على الموجودات وكان امر الله مفعولا

والسر المقنع بالسر لان حقيقته غير مدركة كنا وهنا حيث لا حد له وبه جرت
الحدود والكيفيات ومنه سمي بالمثل الاعلى ايضا واهل المعرفة قد يعبرون
عنه بالحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله ولعله يشير اليه ما في بعض الاخبار
ان اول ما خلق الله نوري وفي بعضها روحي وانه الاصل القديم والفرع
الكريم وفي اوصافهم المأثورة تلويحات اليه مثل انهم اشرف المخلوقات
حيث لا يلحق محلهم لاحق ولا يفوقهم فايق وانهم معادن الخير واصول الكرم
وبهم فتح الله ولهم ختم وان الله خلق العالم من انوارهم الى غير ذلك وهنا
مطالب دقيقة واشارات دقيقة لا يحتملها المقام **نور** ومما لا يعتريه
شبهة ان موجودات العالم من الجواهر والاعراض والعاليات والسافلات
والارواح والاشباح مختلفة بالذات في الشرف والخسة والزين والشين
ومعلوم انه ليس من محض وجودها لان وجود الاشياء هو تحققها وهو امر
واحد لا اختلاف فيه بحسب الحقيقة فالاختلاف راجع الى المهيات وصور
الحقايق الامكانية وحيث انها مجعولة لله كما كونها كما تقدم فليس منشاء
الاختلاف امرا ثابتا قبل الجعل اذ ليس هناك شيء مذكور حتى يحكم عليه بخير
او شر ولا هو من سوء اختيار الجاعل وارادته تعالى الله عن القبيح بل هو لما
علمنا ان قبل الابداع لم يكن هناك جهة وصورة وشيء كان هو مرجحا لتعلق
مشية الله بحد مخصوص وان الوجود المنبسط العام الفايض منه سبحانه تعلق

بجميع الهويات والحقايق على وجه الامكان دفعة واحدة انية وعند هذا كان
الاختلاف المذكور بينها لما لها من اللوازم والاقتضاءات والتوليدات و
الاستنطاقات وظهور العلل والتتمات في الامكان وما في مراتبها من التقدم
والتاخر واقتضاء كل سابق للاحق فظهر بذلك قوابل الامكان على حسب اختلاف
درجاتها شرافة وخسة ولطافة وكثافة وسعادة وشقاوة ثم جرت سنة
الله بمقتضى حكمته وعدله في اعطاء كل ذي حق من تلك القوابل حقه من
الوجود الكوني والسوق الى كل مخلوق رزقه عند حصول شرايطه واسبابه
على ما جرى عليه الامكان في الذكر الاول ومثال ذلك الشعاع المنبسط من سراج
على اجزاء البيت التي يختلف به مواضعه القريبة والبعيدة في الضياء والنور
فان نسبة السراج الى جميع الاضواء والاشعة المنبسطة على الاجزاء نسبة واحدة
وهي بموثرية واحدة وافاضة شعاع واحد الا ان هذا الشعاع عند انبساطه
وتكثر مظاهره بالتقدم والتاخر ووقوع الترتيب اللازم للكثرة بينها صار
كل قريب اكثر نورا من البعيد وكل متقدم اشد ظهورا من المتاخر وكل ما بعد
يمتزج الظلمة الى منتهى البيت فهذا الاختلاف من باب ضرورة الامكان و
واقتضاء الوقوع في الرتبة المتاخرة ووقوع ظل كل شيء في مقابله ومن
هنا ورد كل سعيد سعيد في بطن امه وكل شقي شقي في بطن امه اي في ذات
مهيته وامكانه ولا حجة للشقي على مبدعه كما لا حجة للشعاع المتاخر على كونه

دفع اشكال به نختم المقال ان سئل اذا كان الرشد والخسة الامر ذاتي فكيف
يجوز للشارع الحكيم التسوية في الطلب التكليف بالاوامر والنواهي والثواب
والعقاب بين افراد الانسان المختلفة في الفطرة والاستعداد وكيف يطالب
عن الجبلة الكدرة الخبيثة ما يطالب من الفطرة البهية النفيسة وهل
هو الا كطلب النور من البعيد عن السراج على حد ما يطلب من القريب منه فلا
تقتدر البعيد على الوقوف على حد القريب ولا يتنزل القريب على حد البعيد
فالجواب ان ذوات المكلفين وان كانت مختلفة بحسب الفطرة الاولية
الا انها مع اشتراكها في صفة الاختيار الذي جعل الله فيهم واعانهم لاختيار
الخير بذكر المرغبات والزواجر والوعد والوعيد في انزال الكتب وارسال الرسل
مشتركة في كيفية ذاتية فطر الله الناس عليها وهي قبولها الكمال والشرف
المكتسب باستعمال القوانين الشرعية وامتثال التكاليف الدينية التي هي للنفوس
الردية من قبيل الترياق الدافع لمضرة السم وفي مقابله الهوان والخذلان و
السقوط عن البهاء الذاتي الى الظلمة المكتسبة بمخالفة تلك الشرايع وارتكاب
المعاصي من قبيل السموم الواردة على الامزجة الصحيحة فهذا كما اذا فرض في
مثال السراج ان يكون مواضع البيت زجاجية فللبعيد بتصفية المحل وصقله
جعل شعاعه اكثر ظهورا واستضاءة ونورا الى ان يتجاوز عن حد القريب
كذا للقريب ان يحجب بالصدى ضوء نفسه حد البعيد فنعم اثر التصفية في

هو الاول والآخر

النور المكتسب بالنسبة الى القريب اكثر من البعيد وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء لا يعاب ولا يلام به نور الله قلوبنا بانوار معرفته وتوحيده
وجعلنا من اهل فضله وتاييده بمحمد وعترته المسددين بتسديده
هذا آخر ما اردنا بيانه من مهمات حقايق التوحيد ودقايقه
واصوله ولواحقه والحمد لله اولا وآخرا و
ظاهرا وباطنا وسرا وجهرا